وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة محمـد خيضر - بسكـرة -
كليـــة الآداب واللـغـــات
قسم الآداب واللغة العربية

صـــورة المدينـــة
فـي روايـة "انـكـسار"
لـ: محمد مفلاح

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالب (ة)
رحمة شعبان

إشراف الأستاذ:
رضا معرف

السنة الجامعية : 1435 / 1436 هـ
2014/ 2015 م

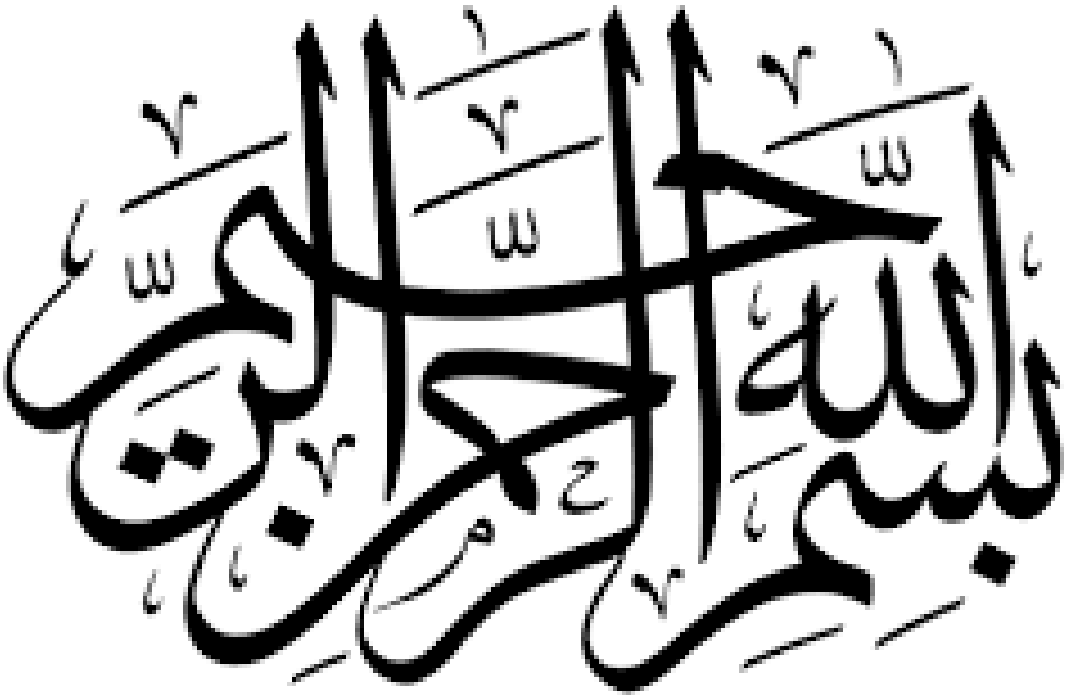
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إلى كل من كان له الفضل في مساعدتي على إنجاز هذا البحث المتواضع أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف:

معروف رضا

الذي كان نعم السند والمعين في بحثي هذا.

كما لا يفوتني أن أتقدم بكامل الشكر والامتنان

إلى جميع أساتذة قسم الآداب واللغة العربية بجامعة بسكرة، الذين تلقيت عنهم مبادئ البحث العلمي عبر كامل مشواري الدراسي، الذين تنهل منهم أدب الحياة ما يبذلونه في سبيل العلم والمعرفة.

تحية شكر وتقدير إلى كل هؤلاء.

مقدمـــــة

تعد الرواية من بين الأشكال الأدبية الأكثر تصويرا لحياة الإنسان المعاصرة باعتبارها الوسيلة الأنسب للتعبير عن مشكلاته، والأقدر على مواكبة مجريات الحياة بتقديم صورة عميقة عن الواقع المعقد، إذ استطاعت أن تستوعب أجناسا أدبية عديدة، ما جعلها أكثر انفتاحا على العالم.

ولقد شهدت الرواية في منتصف القرن العشرين تطورا واضحا من حيث بناءها الفني، بما يحمل من تقنيات وعناصر هامة تسهم في تكوين نسيج العمل الروائي والمكان أحد أهم العناصر الفنية المشكلة للرواية، حيث لا يمكن تصور باقي عناصر الرواية من أحداث وشخصيات وزمان دون إطار مكاني يجمعهم، وبالرغم من كثرة الأبحاث والدراسات التي تناولت المكان إلا أنه مازال يزخر بجوانب وظواهر جمالية برزت معالمها بوضوح في الرواية المعاصرة التي تميل إلى الواقعية أكثر، فالمتتبع للرواية العربية والجزائرية على وجه الخصوص يلحظ أنها اتخذت من المدينة بيئة لها وموضوعا خصبا لا يستهان به، كونها مجالا لالتقاء الشخوص في تفاعلها ورصد سلوكاتها وحركاتها داخل المتن الروائي.

ونظرا للأهمية البارزة التي تكتسيها المدينة داخل النصوص الروائية باعتبارها وجها حضاريا، كانت دافعا لنا لطرق هذا الموضوع في الرواية الجزائرية للبحث في خصوصياتها والتعريف بها لاسيما أن الأعمال التي تناولت المدينة قليلة، ما جعلنا نتناول هذا الموضوع بالدراسة، فكان بحثنا موسوما بـ: " صورة المدينة في رواية انكسار لمحمد مفلاح"، وذلك لمعرفة وجهة نظر الكاتب من خلال بنية روائية تجسد المدينة في ملامحها المتنوعة.

واقترابنا من هذه المدونة الروائية كان عبر محاولة للإجابة عن الإشكالية التالية: كيف تناول محمد مفلاح المدينة كمعطى أدبي معاصر؟ ما هي صورها وتجلياتها كمسرح

للأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية؟ وهذه الإشكالية تضمنت جملة من التساؤلات سعى العمل للإجابة عنها نذكر منها:

ما تعريف المدينة؟ وما طبيعة العلاقات التي تتخذها في سياق الرواية؟ كيف صور الكاتب المدينة؟ وهل كان لها حضور في هذا المتن الروائي؟

وقد أفضت طبيعة البحث على تصميم أفكار هذه المذكرة وفق خطة جاءت مؤطرة في مقدمة جمعنا فيها كل ما يتعلق بالبحث، ومدخل رُسم بنبذة عن تطور الرواية الجزائرية، بالإضافة إلى فصلين:

الفصل الأول عنوناه بـ " المدينة: مفاهيم وتجليات"، تحدثنا فيه عن تعريف المدينة لغة واصطلاحا، وبعدها تطرقنا إلى الحديث عن علاقة المدينة بالآخر (الإنسان / الريف)، ضف إلى ذلك تناولنا المدينة في الرواية الغربية والعربية.

أما الفصل الثاني الذي جاء موسوما بـ: " المدينة: الفضاء والدلالة"، فخصصناه لإظهار الفضاءات المفتوحة والمغلقة داخل الرواية المدروسة.

وذيلنا بحثنا بخاتمة كانت عبارة عن حصيلة مجموعة النتائج المتمحورة حول دراستنا للفضاءات في الرواية.

ولقد اعتمد البحث على نظرية التلقي القائمة على القراءة مستعينة بآليتي الوصف والتحليل، وذلك باستنادنا إلى مجموعة مصادر ومراجع أهمها: كتاب بنية الشكل الروائي لـ " حسن بحراوي"، وكذلك كتاب بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لـ " حميد لحميداني" كتاب جماليات المكان في الرواية العربية لـ " شاكر النابلسي"، أيضا كتاب الرواية والمدينة (نماذج من كتّاب الستينات في مصر) لـ " حسن حمودة "، إضافة إلى كتاب دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر لـ " قادة عقاق"، وغيرها من المراجع التي سيتم ذكرها في موضوعنا.

أما الصعوبات التي واجهتنا خلال انجازنا لهذا البحث، فتمكن في قلة الدراسات التي تناولت المدينة في الرواية باعتبار أن معظم الدراسات كانت منصبة على المدينة في الشعر مما حملنا مشقة البحث والتنقيب.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى الأستاذ المحترم " معرف رضا" الذي شرفني بقبوله الإشراف علي، ولم يبخل عليا بتوجيهاته ونصائحه، وإلى كل من كان له الفضل من قريب أو من بعيد في إرشادي طيلة هذا البحث الذي تعلمت بواسطته تجاوز العقبات، من خلال جمع المادة المبعثرة في بطون الكتب، وأتمنى أن أكون ساهمت بجهد متواضع في هذه الدراسة، واسأل الله التوفيق والسداد.

مدخـــــل

نبذة عن تطور الرواية الجزائرية

تعد الرّواية من بين الأشكال الأدبية التي لاقت حضورا واسعا من قبل جمهور القراء، كونها تعالج الواقع المعيش انطلاقا من التعبيرات الفنية التي تصور انطباعات الشخصية الروائية، بشكل يبرز ملامحها ومميزاتها ضمن حيّز زمكاني يتمظهر من خلاله أسلوب وطريقة الحياة لدى الشعوب.

ولا شك أن الأدب الجزائري الحديث قد عُني بقدر وفير من الدراسات والأبحاث المهتمة بالنص الروائي، يتمظهر ذلك جليا في الغنى الموجود بالمكاتب ودور النشر خاصة وأن الرواية الجزائرية ظهرت في مرحلة كان يعيش فيها المجتمع أوضاعا صعبة في شتى ميادين الحياة الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والثقافية.

وقد تجسدت هذه الحقيقة في النثر الجزائري والرواية بخاصة – موضوع بحثنا – ذلك أن ظروف الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى قد ساعدت على ظهور المذهب الواقعي، الذي وجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم وثقافتهم مجالا للتعبير عن واقع البلاد بما فيه من متناقضات وحرمان وعزلة[1].

إذ نجد "بونامي دوبريه" (Bonamy Dobrée) يقول عن الرواية إنها « ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم مقام مرآة للمجتمع، مادتها : إنسان في المجتمع، أحداثها نتيجة لصراع الفرد – مدفوعا برغباته ومثله – صراعه ضد الآخرين وربما مثلهم أيضا، وينتج عن صراع الإنسان هذا أن يخرج القارئ بفلسفة ما أو رؤيا عن الإنسانية »[2].

من الواضح أن السّمة البارزة في الرواية هو انكبابها على الواقع، ولذا « هي رواية كلية شاملة موضوعية أو ذاتية، تستعير معمارها من بنية المجتمع وتفسح مكانا لتتعايش فيها الأنواع والأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة جدا»[3]. وعليه فالكلية والشمولية التي تتميز بها الرواية من خلال الأحداث والشخصيات والزمان والمكان، كلها تصب في دائرة المجتمع. لذلك نجد أبطال هذه الروايات كانوا

[1] ينظر، أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط2، 2007، ص 56.

[2] سيد حامد النساج، أدب التحدي السياسي في المغرب العربي، دار الرأي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 169.

[3] صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية "دراسة"، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2003، ص 41.

واقعيين يعيشون وسط الحياة المادية يتفاعلون يؤثرون ويتأثرون، من خلال المواقف التي تترجم البيئة الواقعية خيرها وشرها، جمالها وقبحها، ماضيها وحاضرها...

وتجدر الإشارة إلى كون الرواية أحد الفنون النثرية التي لاقت اهتمام كبير في الأدب العربي فـ « منذ مطلع السبعينيات وبداية الثمانينيات بدأت تشكل التجربة الروائية في بلدان المغرب العربي، ظاهرة أدبية جديرة بالاهتمام والبحث، وقد كانت قبل ذلك وفي امتداد الستينيات لا تتجاوز المحاولات الفردية المتناثرة المغرقة في الذاتية [...] من خلال الارتداد إلى الماضي القريب أو البعيد وإحياء أحداثه ووقائعه، بطولاته وانكساراته في خطاب سردي تقليدي يشكو قصور الرؤية الفنية في الغالب »[1]. من خلال هذا القول تبدو لنا رواية السبعينيات والثمانينيات مختلفة عن رواية الستينيات من حيث البناء الفني يعود ذلك إلى كون تلك الحقبة (الستينيات) لم تكن مستقرة تمام الاستقرار– الجزائر مثلا – مما أدى إلى عدم اكتمال الرؤية الفنية.

ويرجع "واسيني الأعرج" أسباب عدم ظهور الرواية في الستينيات وتأخّرها إلى السبعينيات إلى « الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، زيادة على ذلك ثقافة الأديب نفسه. لم تكن لتساعده ولا لتسهم في ظهور الرواية، ولكنها خلقت التربية الأولى التي ستبني عليها أعمال أدبية فيما بعد، خصوصا مع التحولات الديمقراطية في بداية السبعينيات»[2].

إذن الظرف التاريخي كان السبب الأول في تأخر ظهور الرواية في الجزائر، ثم إن ثقافة الأديب الجزائري لم تكن لتستوعب العناصر الفنية المشكلة للرّواية.

إذ يرى "عبد الله الركيبي" أن صعوبة تناول هذا الفن (الرّواية)، لاحتياجه أكثر من أي فن آخر إلى الصبر والأناة والتأمّل الطويل، وانعدام تقاليد روائية جزائرية يمكن محاكاتها احتياج فن الرّواية إلى لغة طيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة، وهو ما

[1] بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، المغرب، ط1،1999، ص 23.

[2] صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 56.

كان يفتقده كتابنا قبل السبعينيات [1]، ونجد ذلك قد تجسد في الأعمال الروائية الأولى فقد افتقرت للخصائص الفنية والجمالية للرواية.

وعليه فالرواية الجزائرية « حديثة العهد بالظهور، والمكتوبة منها باللغة العربية أكثرها حداثة، إلا أنّنا نستطيع القول أنّها منذ ظهورها الأول قد اقتحمت الساحة الأدبية بشكل قوي [...] ومما لا شك فيه أن الوضع الثقافي المتخلف والمهمّش في بلادنا منذ الاستقلال حتى الآن لعب دورا أساسيا في جعل الإنتاج الأدبي عامّة والروائي خاصة يعيش هذا الوضع »[2].

إذن، فالمتتبع لمعظم النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية خصوصا فترة السبعينيات، يجدها قد تجاوزت النمط القديم، وذلك انطلاقا من التغيير الذي مسّ مضامينها وأشكالها، وبهذا انتقل المتن الرّوائي الجزائري من الشكل القديم، إلى شكل يلامس العصر، اقتحمت الرواية من خلاله الساحة الأدبية، وأصبحت بذلك تقترب من الحداثة أكثر فأكثر.

أما "الطاهر وطّار" نجده يقول « في معرض رده عن سؤال وجه له حول واقع الرّواية العربية التي يراها في الأصل فنّا لا نقول : دخيل على اللغة العربية، إنها فن جديد في الأدب العربي، اكتشفه العرب فتبنّوه، مثلها اكتشفوا في بدء نهضتهم المنطق فتبنوه والفلسفة فتبنوها»[3].

وبالحديث عن التاريخ العظيم للشعب الجزائري، نلحظ أنه قد انعكس في الأعمال الشعرية بصـورة خاصـة، أما فيما يخص الأعمال الرواية الجزائرية الأولى، فأحسن نموذج لتمثيلها هـو « حكايـة العشاق في الحـب والاشتياق » التي ألّفها "محمد بن إبراهيـم"، وهـي تقتفي أثر السرد العربي القديم مثل : المقامة والسيرة والملحمة والرحلة،

[1] محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1983، ص 138.

[2] مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، ط1، 2000، ص 3.

[3] صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 45.

وكل ما في الأمر أنّها تحمل خصائص الرواية الفنية من حيث الطول والمسار القصصي[1].

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار هذه الرواية بمثابة محطة أولى للرّواية الفنية في الجزائر، أو كما قال "عمر بن قينة" « هذه القصة في مستوى بين القصة الشعبية والرّواية الفنية [...]، لهذا ربّما بدا مني ميل إلى اعتبار هذه القصة الطويلة، مرحلة أولى من ميلاد الرّواية العربية الحديثة على مستوى الوطن العربي كلّه »[2].

تلتها أعمال روائية أخرى، نقف عند رواية (غادة أم القرى) لـ "أحمد رضا حوحو" تحدث فيها الكاتب عن معاناة المرأة الجزائرية التي لا تختلف عن المرأة الحجازية، واكتفى المؤلف بإهدائها إلى « تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب والعلم والحرية، إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود، إلى المرأة الجزائرية تعزية وسلوى »[3].

وهناك من يرجع كتابة هذه الرّواية إلى بداية الأربعينيات، وربما قبل ذلك بالاستناد إلى المقدمة التي كتبها له السيّد "أحمد بوشناق المدني" والمؤرخ في 1362/12/21 هـ وهو ما يقابل حسب تقديرنا 1943/01/20 م[4].

وبالانتقال إلى المحطة الأخيرة في فترة ما قبل الاستقلال، هي اندلاع الثورة فإننا سنجد هذا الحديث يشهد ظهور بعض الرّوايات، كرواية (الحريق) لـ "نور الدين بوجدرة" ورواية (الطالب المنكوب) لـ"عبد المجيد الشافعي"، و"صوت الغرام" لـ "محمد منيع"[5].

والملاحظ على هذه الأعمال الروائية أنّها لا ترقى إلى مستوى النصوص الناضجة، في مقابل ذلك كان للثورة الجزائرية الدور الفعال في تكوين الأعمال الرّوائية

---

[1] سعيد سلام، التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د.ط)، 2010، ص 173.

[2] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا، وقضايا.. وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 197.

[3] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، ص 58.

[4] ينظر، صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2008، ص 21.

[5] سعيد سلام، التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا)، ص 174.

باعتبار أن الرّواية وليدة الواقع، ومن هذا المنطلق أصبحت الأحداث والوقائع اليومية هي المحرك الحيوي والأساسي لهذه الأعمال.

فالنظم الاستعمارية بطريق مباشر أو غير مباشر خلقت أدبا وطنيا منذ ذلك الحين جنّد الكتاب أقلامهم لتلك القضية، وأصبحت الرّواية وسيلة للتعبير المنطلق، وساعد نجاحها على جذب الجمهور إليها فأقبلوا عليها لمعرفة المظاهر الوطنية والاجتماعية التي تناولها هذا اللون الجديد من ألوان التعبير الأدبي[1].

فما يميز النثر الجزائري أنذالك هو موضوعاته المادية الملموسة التي تدق باب المجتمع بالدرجة الأولى كالفقر والتعليم والحرية وغير ذلك من الموضوعات التي كان يعاني منها المرء تحت وطأة الاحتلال.

أمّا البداية الفعلية لرواية فنّية ناضجة ارتبطت برواية (ريح الجنوب) للكاتب "عبد الحميد بن هدوقة"، وقد تحدّث فيها عن الثورة الزراعية التي جرت أحداثها في الريف الجزائري[2].

والرّواية العربية عامة والجزائرية خاصة تتكئ على الواقع المعيش سياسيا، اقتصاديا واجتماعيا. وفي هذا الصدد تقول " سيزا قاسم" أنّه « من التعسف القول إن الرّواية العربية ولدت في القرن العشرين، أو في نهاية القرن التاسع عشر من لا شيء، إذ أنّها نشأت في تربية فنية بتقاليد أدبية عريقة »[3]. إذن نشأة الرّواية العربية ومنها الجزائرية لم تأت من فراغ، ولذا فهي ذات تقاليد فنية وفكرية، فالرّواية العربية استعانت في بناءها من أشكال أدبية أخرى كالقصة والحكاية كانت سابقة في الظهور على فن الرواية، من ناحية أخرى كان للوضع السياسي والتاريخي الذي شهدته الأقطار العربية دافعا قويا في ميلاد الرّواية العربية.

---

[1] أحمد سيد محمد، الرّواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1989، ص 122.

[2] ينظر، عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص 201.

[3] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1998، ص 18.

لو عدنا إلى الرّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية نجدها تتفوق على الرواية المكتوبة بالعربية، يرجع ذلك إلى الخلفية الثقافية للكتاب، فبينما وجد الكتاب بالفرنسية مجالا رحبا للاحتكاك بالثقافة الغربية التي تزخر بالروايات القيمّة. افتقر الكتّاب بالعربية إلى مثل هذه التجربة، لأن الروائيين العرب أنفسهم اتجهوا نحو الرّواية الغربية لينهلوا منها[1].

إذ يرى "عبد الله الركيبي" أن ظهور الرواية الجزائرية جاء متأخّرا، مردّ ذلك إلى أن « الناس تعوّدُوا قراءة الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وترجمت معظم الرّوايات بهذه اللغة إلى العربية، وبات الناس يردّدُون أسماء كتابها ويعرفون عنهم الشيء الكثير بينما لا يكادون يعرفون عن كتّاب النثر الجزائري الحديث إلا قليلا »[2].

إذن، كان للثقافة الفرنسية أثر على نفسية الأديب الجزائري، تجسد ذلك في الأعمال الرّوائية.

عموما الرّواية الجزائرية حديثة العهد بالظهور، بالقياس إلى تجربة الأمم الأخرى وقد جاءت الرّواية لرصد التحولات الطارئة على البلاد في فترة السبعينيات، يقول "الأعرج واسيني" « شهدت هذه الفترة وحدها– السبعينيات– ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر من انجازات.. فكانت الرّواية تجسيدا لذلك كلّه »[3]. أدى ذلك ظهور الأعمال الروائية بمستوياتها الفنّية مع كوكبة من الرّوائيين أمثال "الطاهر وطار"، "عبد الحميد بن هدوقة"، "رشيد بوجدرة"، فهؤلاء وغيرهم يمثلون أعمدة الرواية الجزائرية الحديثة.

يقول "عبد المالك مرتاض" في كتابه (في نظرية الرّواية) : « تضافرت عوامل كثيرة: بعضها تاريخي، وبعضها حضاري، وبعضها ثقافي، لتدفع بعجلة الرّواية إلى مأزق

---

[1] عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925–1967)، ديوان المطبوعات الجامعية، العاصمة، الجزائر، (د.ط)، ص 62.

[2] عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830–1974)، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع، ط 2، القبة، الجزائر، ص 235.

[3] صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 56.

تفجرت منه الرّواية الجديدة، واتخذت لنفسها طرقا عريضة تسير فيها، وأنشأت لها عالما رحيبا تضطرب في مناكبه، وذلك تحت ألف لباس، وبوجه فني يتشكل في ألف صورة وبلغة جديدة تتأسلب بألف أسلوب »[1]. هذه العوامل أدّت إلى ظهور الرّواية الجديدة التي عكست صورة الإنسان المعاصر وفق معايير فنية وجمالية، نلمس من خلالها إبداع الكاتب.

والحديث عن الرّواية الجزائرية بمفهومها الجديد، ليس بالأمر الهيّن، لأن معظم النقاد قد رأوا فيها كسرا لعمود الرّواية التقليدية، لكن رغم هذا تبقى هذه الرّوايات كتابات حاولت احتواء الواقع بكل تناقضاته وحيثياته، كتبت عن الإنسان في كل حالاته، وكتبت عن الواقع والراهن، والسياسة والتطرف الديني، والتاريخ والمجتمع، والجنس والذات، هي كتابات لا تعترف بالحدود، والطابوهات، والممنوع[2].

وبهذا المفهوم، فالأديب الجزائري تحرّر نوعا ما في كتاباته الرّوائية بعد أن كان يدخل ضمن ما يعرف بأدب الالتزام، الذي كان سائدا في الجزائر والوطن العربي برمته.

نقول أن الرّواية الجزائرية الجديدة «هي فرع من عمارة الرّواية الحديثة، وهي حركة حاولت التمييز عن سواها السائد والتفرد بطرائق سردية فعارضت وخالفت القاعدة »[3].

إذن، فالرّواية الجزائرية بمفهومها الجديد حاولت كسر النمط القديم شكلا ومضمونا بإقحام عناصر حداثية داخل النص الرّوائي، وأصبحت هذه النصوص أكثر جرأة متمردة من حيث اللغة والأسلوب، معارضة بذلك الوضع الرّاهن، وبات الرّوائي الجزائري همُّهُ الوحيد هو البحث في قضايا مجتمعه.

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، ط1998، ص 51.

[2] رابطة أهل القلم، أسئلة الحداثة في الرواية الجزائرية، منشورات مديرية الثقافة، سطيف، الجزائر، (د.ط)، ص 193.

[3] المرجع نفسه، ص 192.

وفي معرض هذا الحديث تقول "فضيلة الفاروق": « وحده الكاتب الجزائري واجه الإرهاب بقلمه وراح ضحية جرأته تلك، لأنه دافع عن مجتمعه، وقد نقلت الرّواية الواقع بكل وجوهه [...] وكانت الرّواية نضالا ضد فرنسا "مالك حداد"، "محمد ديب"، "مولود فرعون"، "آسيا جبار" [...]، ومشت الرّواية في الخط الأيديولوجي للدولة "عبد الحميد بن هدوقة"، "الطاهر وطار" و "مرزاق بقطاش" وغيرهم..، وفي الثمانينيات ظهرت موجة الرّواية المعارضة للدولة "واسيني الأعرج"، "رشيد بوجدرة"، "أمين الزاوي". أمّا في التسعينيات فالرّواية تناضل ضد الإرهاب والأصولية [...]، كما تناضل ضد الحكومات الفاسدة "مفتي بشير"، "أحلام مستغانمي"[1].

وعليه فالرّواية الجزائرية حين ننظر إليها بمنظور الأجيال الأدبية، نجدها تنقسم إلى جيل السبعينيات والثمانينيات وجيل التسعينيات، وطبعا هناك فروق بين هذه الأجيال سواء في طبيعة المواضيع المطروحة، أو على المستوى الفني للرّواية.

يمكن القول أن الرّواية الجزائرية كان لها حضور بارز في الساحة الأدبية الجزائرية خصوصا والعربية عموما، وكان الاهتمام بها واضحا لدى النقاد والأدباء والباحثين، وما يدل على ذلك تزايد كتاب النصوص الرّوائية، خاصة وأن هذه النصوص تلامس الواقع بالدرجة الأولى، على الرغم من أن بداياتهما الأولى كانت مفتقرة إلى الخصائص الفنية للرّواية، لكن لم يبق الأمر كذلك فقد زادت في النمو والتطور ما بعد السبعينيات مع ظهور كوكبة من الرّوائيين أمثال "الطاهر وطار"، "رشيد بوجدرة"، "واسيني الأعرج"، "أمين الزاوي"، "مرزاق بقطاش" وغيرهم من الكتاب...

[1] فهد حسين، أمام القنديل حوارات في الكتابة الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص 156.

الفصـــــل الأول

المدينة: مفاهيم وتجليات

أولا : تعريف المدينة

أ -لغة

ب-اصطلاحا

ثانيا: المدينة والآخر

أ-المدينة و الكائن (الإنسان)

ب-المدينة والريف

ثالثا: المدينة بين الرواية الغربية والعربية

أ-المدينة في الرواية الغربية

ب-المدينة في الرواية العربية

ارتبط الحديث عن المدينة بالإنسان الحضاري الذي انتقل من طور البداوة إلى طور التمدن، فكانت المدينة ظاهرة حضارية تعكس حياة الإنسان في السلوك والعادات والعلاقات، وقد جاء البحث محاولة لتحديد مفهوم المدينة بوصفها عنصرا فنيا يجسد المكان داخل البناء الروائي.

أولا: تعريف المدينة:

اتخذت المدينة معاني ودلالات متنوعة نحاول رصدها في المعنى اللغوي والاصطلاحي.

أ-لغة : لا تختلف مفاهيم المدينة في اللغة عن بعضها البعض، فقد ورد ذكرها في معجم لسان العرب لابن منظور في مادة (م.د.ن) قوله : « مدن بالمكان : أقام به ومنه المدينة وهي فعلية [...] والجمع مدائن ومدن، ويقال للأمة مدينة أي مملوكة »[1] وتشترك في ذلك أغلب المعاجم العربية فهي تحمل معنى الإقامة بمكان والنزول فيه، وتطلق "المدينة" على « مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، غلبت عليها »[2] ويقصد بها مدينة يثرب الاسم السابق للمدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما يقال « تمدن الرجل تخلق بأخلاق أهل المدن، وانتقل من حالة الخشونة والبربرية والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة »[3]، وعليه فالتمدن يمثل ظاهرة اجتماعية يتميز بها الفرد، إذ ينتقل من حالة البداوة والجهل إلى حالة الحضر والرقي.

و المدينة « يمكن أن تكون اشتقت من دين أي ملك بوصف المدينة تشترط وجود الملك والسلطان أو الوالي على الأقل عكس القرية »[4]، معنى ذلك أن المدينة تتميز بوجود الحاكم الذي يسير شؤونها، وتخرج القرية من دائرتها المفاهمية، كونها تمثل تجمعات سكانية صغرى لا ترقى لمستوى المدينة.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 ،1990 ،مادة (مدن)، مج 13، ص 402.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، مج 1 ،859 .

[3] بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، دط ،1987، باب(الميم)، ص843 .

[4] عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1،2013، ص69 .

كما أن مصطلح المدينة ورد ذكره في القرآن الكريم في العديد من السور والآيات فنجده في قوله تعالى : « **قال فرعون أآمنتم به قبل أن آذن لكم، إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة** »[1] وهنا إشارة إلى موسى عليه السلام، وقوله تعالى « **وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه** » [2] فإن الحديث جاء مقرونا بالنبي يوسف عليه السلام، وقوله تعالى « **وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلوا عن رسول الله** »[3] والخطاب في هذه الآية كان موجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى « **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى** »[4]، فالمدينة إذن ذكرت في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، كما ذكرت مدن بأسمائها نحو مصر مكة، بابل، الأرض المقدسة والمقصود بها فلسطين.

وعلى هذا الأساس فإن موضوع المدينة ضارب بجذوره وله ركائز عقائدية، كما يلاحظ أنها لم تتناول على مستوى ضيق، وإنّما نوقشت ضمن مفاهيم عديدة.

ب-اصطلاحا:

إن الرواية كبناء فني متكامل، تمكّن الكاتب من خلق وإبداع عالم تتفاعل فيه العناصر الروائية من شخصيات وأحداث وزمان ومكان هذا الأخير باعتباره مسرحا للأحداث في كل رواية ، كان الاهتمام به واضحا من خلال الدراسات والأبحاث الأدبية.

والحديث عن المكان هو حديث عن المدينة في حد ذاتها، حيث تعددت التعاريف وتنوعت حول مصطلح المدينة إذ تعني « انتماء حد معين من السكان إلى موقع جغرافي متميز، يتفاعلون على ظاهرة اجتماعية متعددة الوظائف، قوامها إدارة وطبقات من السكان يتوزعون وفق صفقات اقتصادية و ثقافية في إطار قانوني ينظم العلاقات والأفعال »[5].

---

[1] سورة الأعراف، الآية 123.

[2] سورة يوسف، الآية 30.

[3] سورة التوبة، الآية 120.

[4] سورة القصص، الآية 20.

[5] ياسر عابدين، مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، ع 1، 2012، ص155.

فالمدينة إذن تدل على مرتبة راقية تجتمع فيها ظواهر وخصائص تميزها كرقعة جغرافية تضم فئة من المجتمع ، يؤثرون ويتأثرون ضمن إطار قانوني يسير تلك الفئات.

ويأتي تعريف المدينة لدى فلاسفة الإسلام مرتبط بالحاكم والمحكوم إذ يقول الفارابي: « إنّ المدينة لا يتم أمرها إلا بأن يكون فيها رؤساء ومرؤوسون، فالرؤساء مثل الأفاضل وذوي التجارب، والمرؤوسون كل من دون هؤلاء من الصبيان والشبان والجهّال»[1].

وإذا كانت المدينة تعني ذلك التجمع السكاني الذي قوامه الحكم والسلطة فالمصر يشير إلى المعنى نفسه يقول التّاهناوي: « المصر الحد الصحيح المعول عليه أنه كل مدينة ينفذ فيها الأحكام ويقام بها الحدود »[2].

لم يقف مصطلح المدينة في الإسلام عند هذا الحد فمن أسماء المدن " العواصم " وهي مركز الحاكم والإدارات والقضاء والمحاكم.... ويجتمع فيها أكبر قسم ممكن من السكان، وأول من استعملها في الإسلام هارون الرشيد، وسمّاها عواصم لتعصم المسلمين من هجمات الروم [3]، وهذه اللفظة " العواصم" لحد اليوم تطلق على المدن الكبرى في العالم.

والجدير بالذكر أن المدن العربية كانت تتحد وفق الوظيفة التي تميزها كالسلطة والحكم، والصناعة والتجارة حيث « يبدأ ميلاد المدينة في التشكل عندما يختص أهل الجماعة الواحدة في امتهان حرف يرتبط وجود كل واحدة منها بالأخرى، كما ترتبط الأعضاء في الجسد الواحد »[4]، وعليه فمفهوم المدينة في العرف القديم، كان مرتبطا بظهور الحرف والصناعات وبوجودها يمكن التمييز بين المدينة والقرية.

---

[1] عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد)، ص 70.

[2] المرجع نفسه، ص 69.

[3] سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، دت، ص 132.

[4] عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة، ص 71.

ويتفق الكثير من الاجتماعيين على أن « المدينة هي تجمعات سكانية كبيرة وغير متجانسة تعيش على قطعة أرض محدودة نسبيا »[1]، وبما أنّ الإنسان مرتبط بالمكان لا يتحقق وجوده إلا به من خلال عملية التأثير والتأثر، فماذا تكون المدينة سوى البشر على حد تعبير " شكسبير".

كما نجد أن المدينة تطلق على المكان استنادا إلى معايير أخرى مثل عدد السكان والمساحة والنشاط الاقتصادي السائد، ونوعية الخدمات المتوافرة، لذلك « تتميز المدن عن بعضها، نتيجة العوامل والأسباب التي أدت إلى نشوؤها وتكوينها وتطورها، فهناك مدن تجارية، ومدن دينية، ومدن صناعية، ومدن تاريخية، كما أن هناك مدنا تستمد أهميتها من كونها مصدر قرارات والاختبارات السياسية »[2].

ومعنى هذا القول أن لكل مدينة خصائص تميزها عن سواها انطلاقا من المجالات التي تختص بها، مع العلم أن تلك المجالات قد تتغير تبعا للتطورات الاقتصادية والثقافية، والاجتماعية لتلك المدينة.

كما أن الحديث عن المدينة يشير إلى المكان إذ يعرف "يوري لوتمان" هذا المصطلح على أنه « مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشياء، والصور، والدلالات المتغيرة، التي تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الامتداد والمسافة »[3].

فالمدينة إذن، ليست رقعة جغرافية لها حدود فحسب، بل تخضع إلى تغيرات تتحكم في المكان، كون المدينة مظهر من مظاهر الإبداع الإنساني، لتصبح عندئذ تترجم كل أفعال الفرد وتحركاته وسط حيز مكاني أطلق عليه اسم "المدينة"، ولهذا تكون المدينة

---

[1] عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة(الاجتماع الحضري)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 7، 1981، ص 27.

[2] رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، دط، 1984، ص17.

[3] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2008، ص175 .

هي «الحياة بتعددها وتنوعها، هي الأمكنة والبشر [...] والمدينة طريقة النّاس في النظر إلى الأشياء وطريقة كلامهم، المدينة هي الأحلام والخيبات التي ملأت عقول الناس وقلوبهم»[1]، وعليه فالمكان لا يكون ذا جدوى ما لم ترتبط به الحياة، فهو ليس مجالا هندسيا تضبط حدوده مسافات وأبعاد دقيقة وهذا العنصر (المكان) لا يبقى جامدا خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمبدع.

والمدينة بمفهومها الواسع لا تعني الحياة المادية من عمران وشوارع وإدارات وخدمات إن « المدينة فوق هذا كله اتجاه عقلي، مجموعة من العادات والتقاليد [...]، إنّ المدينة بمعنى آخر ليست مجرد ميكانيزم فيزيائي أو بناء صنعه الإنسان »[2]، فالمدينة بهذا المفهوم تصبح بمثابة البوتقة التي تنصهر فيها العادات والتقاليد، فهي إلى جانب التنظيم الاقتصادي والإداري تحضى بثقافة متميزة، لذا فالمدينة هي نتاج بين الطبيعة وإبداع الإنسان.

من الواضح أن تعريف المدينة يختلف من وجهة نظر إلى أخرى ويعتبر "ماكس فيبر" من الذين حاولوا إيجاد تعريف للمدينة يقول: « إنّها تتكون من مجموعة أو أكثر من المساكن المتفرقة، لكنها نسبياً تعتبر مكان إقامة مغلق، وعادة ما تبنى المنازل في المدن قريبة بعضها من البعض، فيكون الحائط لصيق الحائط»[3].

وهذا التصور يجعل من المدينة إطارا مكانياً شديد الازدحام، تضم مجموعة من البنايات، تتخللها الشوارع والممرات، لذلك فقد « تتقاطع مشاهد الأزقة والساحات والمقاهي والحوانيت والمنازل والوجوه والروائح والأصوات لتشكل فضاء خصوصيا وإيقاعا خاصا هو نفسه جوهر المدية، جوهر المدينة جوهر العلاقة اليومية مع المدينة، وإن شئنا معنى

---

[1] بهيجة مصري إدلبي/عامر الديك، السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1،2011، ص 105 .

[2] محمد عاطف غيث، علم الإجتماع الحضري (مدخل نظري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت، ص129.

[3] المرجع نفسه، ص 131.

المدينة»[1] فالمجتمع حين يتواصل ويتفاعل مع المكان فهو بذلك يتيح للمدينة أن تتشكل كفضاء، يصور علاقة الإنسان مع محيطه، خاصة وأنّ المكان (المدينة) يتوفر على العناصر الأساسية للحياة من هواء، وماء، وتراب... بالإضافة إلى المرافق والخدمات الضرورية.

[1] حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي ، ط1، 2000، الدار البيضاء، المغرب، ص143.

ثانيا: المدينة والآخر

تتعدد علاقات المدينة وتتنوع، وهذا التعدد يؤدي بالضرورة إلى التغيير في ملامحها وصورها، لذلك كان الانفتاح على الآخر يقدم صورة عنه سواء بالإيجاب أو السلب حيث « أننا لن نستطيع كشف ذواتنا وفهمها على حقيقتها إلا عبر لقاء الآخر، فيتبين مدى تألقها حين تنفتح عليه، ومدى بؤسها حين تنغلق في جدران ظلمتها »[1]، فالإنسان لا يتحقق وجوده وكيانه إلا في الإطار المكاني الذي يعيش فيه (المدينة، الريف، المنزل البيت، الشارع ...) لتكون المدينة منفتحة على الآخر من خلال علاقة التأثر والتأثر.

وقد وقع الاختيار في هذه الدراسة على " الإنسان " و" الريف " في علاقتهما بالمدينة، وربما كان ذلك لأجل فهم(المدينة) في كيفية تعاملها مع الآخر، من جهة أن المدينة والريف بمثابة عالمين متناقضين ومتكاملين (أحدهما يكمل الأخر)، وكيف يطلق الآخر (الإنسان) روحه في المدينة، لتكون هي الأخرى صورة عاكسة لتصرفات ومواقف الإنسان في علاقاته مع الآخرين، والانفتاح على الآخر هو ما يساعد على الارتقاء ودأب الحركة والتواصل.

أ-المدينة و الكائن (الإنسان) :

يعد المكان أكثر التصاقا بالبشر، إذ يصور حياتهم المادية والمعنوية بأدق التفاصيل، والإنسان في علاقته بالمدينة لا يحتاج إلى رقعة جغرافية يعيش فيها بقدر ما يحتاج إلى رقعة يضرب فيها بجذوره ليترسّخ وجوده « فإذا كان المكان يتشكل بالدفء الذي ينهض من روح الكائنات فيه، وإذا كان الكائن بمسيرته مجموعة من الأمكنة تشكلت في ذاكرته وشكّلت ذاته، فإن سيرة المكان لا تنفصل بشكل من الأشكال عن سيرة الكائن الذي يطلق روحه وذاته في المكان بقدر ما يطلق المكان روحه في ذلك الكائن، ليصبح الإنسان تكوينا واحدا يكتب تاريخ وجوده »[2] ومعنى هذا أن الإنسان الذي يعيش المدينة

[1] ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1،2010، ص87.

[2] بهيجة المصري إدلبي، السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي ، ص 103 .

يكون في احتكاك متواصل ومستمر، ولأن الإنسان بطبيعته مدني واجتماعي فهو يعرف ذاته من خلال الآخر(المدينة)، بدورها تؤثر في الكائن وفق علاقة الأخذ والعطاء.

من جهة أخرى يلعب المكان دورا أساسيا في تحديد هوية الإنسان إذا لا يحتاج فقط إلى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها، لكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية، شكل الفعل عن المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها الأنا صورتها[1].

ولذا اقترنت لفظة المكان بكيان الإنسان ووجوده، ولأن الإنسان مجبول على حب الارتقاء والتطور كانت المدينة المكان الأنسب، حيث أن « المكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعة، فالمكان يعكس حقيقته الشخصية، ومن جانب آخر إن حياة الشخصية التي تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها »[2] ولذا كان الطابع المكاني (الجغرافي) للمدينة ينعكس على شخصية الفرد وملامحه بحيث « يقدم لنا المكان يد المساعدة على التعرف على الشخصية ذلك أن قراءة دلالية المكان توضح لنا ملامح ومميزات الشخصيات وطباعها »[3].

وعليه فإن الانتماء إلى مكان ما يسمح بتحديد العلاقة القائمة بينه وبين الإنسان فيصبح المكان (المدينة) حياة وموت، حب وكراهية، وحنين ونفور، حلم ويقظة ...

وربما التأثير المتبادل بين الشخصية والمكان الذي تسكنه يكشف لنا حالة النفسية التي تعيشها الشخصية، فقد تكون بعض الأمكنة كدلالة نفسية « تتميز بالعلاقة التأثيرية التي تقوم بين الإنسان والمكان، فيغدو االمكان محمولا خبريا في ذات الكائن »[4].

---

[1] عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، درا الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص268 .

[2] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، ص84 .

[3] صالح ولعة، المكان ودلالته (في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمان منيف)،عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع ، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص55 .

[4] الأخضر بن السايح، سطوة المكان وشعرية القص في رواية الذاكرة الجسد(دراسة في تقنيات السرد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد،الأردن، ط1،2011 ، ص 145.

فالمكان إذن، يعكس شخصية الفرد في علاقة حميمية أساسها التفاعل المتبادل بين الطرفين، ليكون هو المحرك الأساسي لوعي ساكنه اجتماعيا، نفسيا، عاطفيا، وهذا الحس تجاه المكان « هو حس أصيل وعميق في الوجدان البشري خصوصا إذا كان المكان هو وطن الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط البدائي المشيمي برحم الأرض الأم [...] ويزداد هذا الحس شحدا إذا ما تعرض المكان للفقد أو الضياع »[1].

وعليه فالارتباط نحو المكان يتخذ أشكالا عديدة منها ما هو نفساني، اجتماعي سياسي، ثقافي، وحتى جمالي و « أصبح المكان على هذا الأساس هو المنطلق لكل تصرف، فلا يحكم على سلوك الإنسان إلا من خلال وجوده في المكان فهو خير معين للإنسان وإن معايشة الإنسان للمكان وتآلفه معه، أو معاداته له يشكل الخلفية الإرتكازية لكل تصور أو توجه أو تشكيل فني »[2].

فالمكان هو الذي يترجم السلوك الإنساني، إذ يمثل صورة عاكسة لطباع وتصرفات الإنسان لذلك يعد بمثابة المكان المحوري بالنسبة للشخصية خاصة إذا ما تحققت رغباتها ومطالبها فيه (المدينة مثلا).

من الواضح والأكيد أن الإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن المكان ومنه « فالمكان هو البيئة التي يعيش فيها الناس، ولا شك أن الإنسان (ابن بيئته)، وهي تعطيه الملامح الجسدية والنفسية فنحن جميعا بشر... لكن المكان الذي نولد فيه هو الذي يحدد سماتنا الخاصة المتميزة »[3]، معنى هذا القول أن المكان الذي نعيش فيه يحدد هويتنا وكياننا، ولذا فالعيش في المدينة يختلف تماما عمّا هو في الريف، والاختلاف يمس العادات والتقاليد والقيم التي تميز مكانا دون سواه.

---

[1] نوزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر والتوزيع ،عمان، الأردن، ط1، 2013، ص 39.

[2] المرجع نفسه ، ص 39.

[3] سناء طاهر الجمالي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط1 ،2011، ص168 .

ثم إن كلمة مدينة « لا يراد بها الدلالة الجغرافية المحددة المرتبطة بمساحة، بل تتسع لتشمل : الأرض، والأحداث، والهموم، والتطلعات، والتقاليد، والقيم في منطقة ما من هذا العالم »[1].

والمدينة في الواقع تصور حياة الإنسان بأدق التفاصيل، وفيها تتكشف حركية المجتمع من الآم وأحلام، عادات وتقاليد فـ « وجود الإنسان لا يتحقق إلا في علاقته بالفضاء، تدفعه هذه العلاقة إلى أنواع من المعرفة، لا يقف عند حدودها بل يتجاوزها، إلى امتلاك فضاء أرضي يمارس وسطه فعل الحياة، يتوطن فيه ويتجذر، ويكوّن لنفسه هوية تمثل كيانه الذي لا يتجزأ منه الفضاء »[2]، وعليه فالمدينة فضاء يتسع ليشمل الوجود الإنساني.

إلى جانب ذلك كله هي عنوان الحياة المعاصرة بدليل « إن الانتصاب في المكان وتعميره، هما الدليل الأول على والجود »[3] وعليه فالمدينة ما كانت لتكون لولا وجود الإنسان وتعميره لها، ثم إن الوجه الخارجي للمدينة من تصميم وهندسة وبناء، يسهم بشكل فعّال في تحديد هوية ساكنها لذلك « كان ارتباط البحث عن الهوية بالبحث عن المكان، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، بل تبسط خارج هذه الحدود حيث المكان الذي يمكّنها أن تتفاعل معه »[4]، وعلى هذا الأساس يعد المكان شرط الوجود الإنساني، الذي لا يحدد ذاته (هويته) إلا في إطاره، وفيه يمارس حضوره وغيابه.

من الواضح أن الارتباط الوشيجي بالمكان أمر مشروط لا جدال فيه، فالمكان يمثل خلاصة تجارب الإنسان الحياتية، ومكمن لنوازعه ورغباته النفسية والعاطفية فمثلا « المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي، وهي المكان الإنساني الأفضل المبني لسعادته

---

[1] سناء طاهر الجمالي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، ص 168.

[2] الشريف حبيلة، الرواية والعنف (دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص22 .

[3] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمود علي للنشر، تونس، ط 1، 2003، ص262.

[4] الشريف حبيلة، الرواية والعنف (دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، ص 22.

شأنها في ذلك شأن كل تجمع بشري كالقرية أو البادية في أول الأمر [...] أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، أوجدوها لتناسب أذواقهم ومشاريعهم، ولتساعدهم على العيش وتطمئنهم وتحميهم من العالم المناوئ ومن أنفسهم »[1]، فالإنسان يبني المكان تبعا لما يتماشى وظروفه واحتياجاته، وقد استجابت نوعا ما لحاجيات الإنسان، لتوفرها على المرافق الضرورية والخدمات الهامة (تجارة، صناعة، إدارة، اتصال ...) لضمان سيرورة الحياة .

ويمكن القول أن علاقة الإنسان بالمكان (المدينة) بمثابة كيان واحد « هذا الجسد" المكان " أو لنقل بعبارة أخرى "مكمن" القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوانية للكائن الحي »[2] وبناء على هذا لا يمكن فصل المكان عن الإنسان لكونه عنصرا حيويا مكتنزا بالقيم والأفكار.

إن العلاقة المتبادلة بين " المكان" و " الإنسان" دفعت بـــ "عبد الرحمن منيف" إلى القول « إن المدن هي البشر هي التاريخ وبالتالي فإنها الذاكرة الحقيقية لما كان ولما يجب أن يبقى »[3]، والمدينة بهذا المعنى ليست مركزا حضاريا فكريا فحسب، بل تتسع لتشمل تاريخ الشعوب، حيث أن لكل مدينة ثقافتها الخاصة لأن الإنسان يؤثر في المكان الذي يوجد فيه بطابعه الخاص، ولذا « كثيرا ما يحدث التشابه بين الإنسان والمكان الذي يسكنه»[4] على سبيل المثال المدينة الغربية تختلف عن المدينة العربية من حيث العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية، بالإضافة إلى اللباس، الأكل، الديكور ...

وتطابق المكان مع الذات الإنسانية يقدم صورة ماثلة لمدركاته الخارجية، لتصبح المعادلة بينهما كالتالي:

---

[1] قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري الغربي المعاصر(دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، مطبعة إتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، دط ،2001، ص19 .

[2] المرجع نفسه، ص 259.

[3] شرف الدين ماجدولين، الصورة السردية في الرواية والقصة والسنما، الدار العربية للعلوم ناشرون، العاصمة، الجزائري، 2010، ص51 .

[4] قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري الغربي المعاصر، ص19.

« المكان الإنساني = المدن / المنازل / الجوامع / المقاهي / الشوارع / الطرق »[1].

هذه كلها علاقات تفسر حلول الشخص في المكان، والأثر الذي يتركه في نفسيته .

ب-المدينة والريف:

دأب الإنسان من أجل البقاء في جميع الأطوار التي مر بها، وفي مرحلة المدينة ساعدته العوامل الاقتصادية على نشأة عدد من المدن المحصنة، قامت أساسا على نوع من الصناعة أدت بدورها إلى ظهور، المدينة الضخمة، كتحقيق مشخص تتوافر فيه الطمأنينة والتواصل، فكانت هذه المدينة لغة الإنسان المعاصر في حرية ضد الطبيعة وأخطارها التي تهدد حياته [2].

والمدينة هي المكان المقابل للريف، فهي تمثل جدلا واسعا مع الريف، باعتبار أن كلا هما نقيض الآخر « ففي ظل التطور المذهل، وشارع وتيرة إيقاع الحياة وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح الريف عاجزا عن تلبية حاجيات الأفراد، ولذا مهد لانهياره وفقد أهميته بسبب تقادم عهده وتطوره وعجزه عن مواكبة الأحداث »[3] فنشأت المدينة ملبية لمتطلبات الإنسان وحاجياته، ولذلك كان ارتباط الريف واضحا خاصة في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي « ولعل حاجة الريف إلى المدينة تضاعفت واشتدت منذ الثورة الصناعية في أوروبا حيث سخرت الصناعة لخدمة الزراعة فتطورت صناعة الآلات ذات الوظائف الزراعية التي يسرت كثيرا على الفلاحين في الأرياف أعمالهم وزادت من إنتاجهم»[4].

فالمدينة هي مركز النشاط الاقتصادي والتجاري والصناعي، إذ أن « المدينة لها خاصيــة الجذب لما فيها من مظاهر العظمة والترفيه وفرص العمل مما يدعـو الكثير

---

[1] سير أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، ص82.

[2] مختار أبو علي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1995، ص159.

[3] قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص159.

[4] قرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 94 /95، ص154.

إلى التمسك بحياة المدينة وهجر الريف الذي أصبح لا يطاق من وجهة نظر البعض »[1] فما تقدمه المدينة من مزايا وخدمات تسهل العيش، تجعل منها فضاء لجذب الناس إليها وربما كان من نتائج الثورة الصناعية هجرة أهل الريف إلى المدينة مما أدى اختلال التوازن بينهما ما جعل « المدينة تنظر إلى الريف على أنّه متخلف وأن فتح أبواب المدينة أمامه يؤدي إلى فقدانها لقدر من رفاهيتها ونظافتها في الخدمات الراقية التي أصبحت حقا مكتسبا لها، حتى وإن كان الريف هو الذي يمول تلك الخدمات أو يسهم فيها بنصيب »[2].

ولذا فإن تقابل الريف والمدينة يخلق هوّة عميقة ما يؤدي إلى صعوبة الاندماج، فقد « حكمت المدينة الريف بأخلاق الإقطاع، وتعاملت مع الريف على أنه ملكية خاصة خادمة لها وليس عنصرا في المواطنة له الحق الكامل في كل خيرات بلاده على قدم المساواة »[3] بحيث ينظر الريف للمدينة على أنها مقر السلطة ومركز للقرارات تتلون بأزياء مخادعة تسحر القادم إليها وتبهره بإغراءاتها المخادعة وهكذا « تبدو المدينة أدعى للعقل وأميل إلى المستقبل وألصق بالحاضر، وأقدر على التلاؤم مع وتيرة التطور الأقرب إلى التغيير والانفتاح، أما القرية [الريف] فأدنى إلى الماضي وأحرص على الذاكرة والحلم والخيال والعواطف وأكثر ارتياحا إلى الثابت والمنغلق »[4] باعتبار أن المدينة تهتم بالطابع الحضري، وهي مصدر القرارات والنشاطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي تعود بالنفع أو الضرر على الريف.

وإذا كانت العلاقة بين الريف والمدينة في أغلب الأحيان نفعية فإن كلا الطرفين له خصائص تميزه عن الآخر، وما يلفت النظر في المدينة هو طبيعة مظهرها الخارجي في « علو جدرانها، الارتفاع الشاهق لأبنيتها والتنظيم الآلي للحياة فيها وتخصص أمكنتها وضيق أزقتها، وكثرة المتسكعين والبطالين فيها وبراقة منظرها وكثرة أضوائها وغلبة

[1] محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري ،ص 99.

[2] محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، ط1989، ص 148.

[3] المرجع نفسه، ص148.

[4] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، ص 478.

الازدحام والضوضاء على محيطها »[1] هذا من شأنه ترك أثر على نفسية الإنسان وبالتالي يبحث عن ملجأ آخر (الريف) يحتمي ليتحقق له الاستقرار والهدوء.

لكن بالمقابل هناك صفات عامة للمجتمع الريفي تتمثل في كون « أهل الريف أكثر تجانسا، ولهم خصائص نفسية تميزهم عن الحضريين، كالتمسك بالقواعد الأصلية للسلوك الجمعي والعرف وهم أكثر إيمانا بالقضاء والقدر مما يقلل نسبة الأمراض العصبية والعلل النفسية في القرية عمّا عليه في الحضر »[2].

وكل ذلك نقيض لخصائص المجتمع المدني ربما ما دفع بالكثيرين للفرار من المدينة والاتجاه إلى الريف واحتضان الطبيعة فقد « أصبح طلب الطبيعة إعلانا غير مباشر عن نزعة الناس إلى الهرب من تدهور المدينة »[3] بحيث يصبح الريف ملاذا لدى البعض للاحتماء به من قهر المدينة.

وفي ضوء العلاقة الضدية بين الريف والمدينة فيما يتركه كل منهما من انطباعات نفسية وفكرية لدى الإنسان انعكس بدوره في الأعمال الإبداعية التي تناولت الريف، نجد الطاهر وطار يقول: « إنّنا كلنا من منبت ريفي أو من قرى صغيرة تئن تحت ضغط الرؤية الريفية للحياة، وإلى الآن – وعلى ما أعرف – فإن نتاجنا إمّا لا يعكس سوى الإنسان الريفي في صراعه مع الحياة، في انتصاره، أو في انهزامه، وإما لا يتعرض إلا بصفة سطحية للمدينة وخاصة للمدينة الكبيرة »[4] وهذه الرؤية تعبر عن علاقة الإنسان بالريف كموطن أصلي.

وذكر الريف في الرواية إنّما هو « نتاج طبيعي لإحساس الروائي العميق بالانتماء إلى الأرض، وإلى القرية الهادئة الوادعة التي ظلت تحافظ على نقائها وعلى بساطتها فلم

[1] قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص 172.

[2] مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص172.

[3] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، ص31.

[4] صالح مفقود، المرأة في الرواية الجزائرية، ص177.

تطلها المدينة بحضارتها فتفسدها »[1] وعليه فإن الانتماء إلى الريف هو إحساس صادق ونزعة أصلية في الفكر الإنساني، فهو يحمل عنوانا لبعض القيم الصادقة كالقناعة البساطة، التلقائية، النقاء، عكس المدينة التي تميل إلى الانفتاح أكثر على وسائل وطرق العيش ليصبح الإنسان يلهث وراء رغباته.

كما اتخذت المدينة صورة الصراع مع الريف ، فكانت ملامحها قاتمة ودلالاتها جارحة فهي مكان للضياع والاحتلال والاستيلاب والبؤس والقهر في مقابل القرية الطبيعة عالم الامتلاء والصفاء والحرية والسعادة، تلك هي صورة المدينة (المكان الجحيم) في مقابل (المكان النعيم) أي القرية [2] ومنه سعى الإنسان للبحث عن ملجأ أمين يحتمي فيه، أو الهروب من جو المدينة، بالعودة إلى منبع الصفاء والهدوء والنقاء.

ورد ذكر المدينة في العديد من المواقع النصية (رواية – شعر) اتخذ أصحابها مواقف محددة من " المدينة " تباينت بين الرفض والقبول والنفور والتضايق فهي بالنسبة لهم « مكانا من أمكنة اللعنات الشيطانية »[3] من هنا نجد "جبران خليل جبران" في مقال له يميز بين طلوع الشمس على أكبر مدينة أمريكية وطلوعه على جبله اللبناني يقول: « ... ها قد غصت الشوارع بالمسرعين الطامعين، وامتلأ الفضاء من قلقلة الحديد، ودوي الدواليب، وعويل التجار، وأصبحت المدينة ساحة قتال... هذه صورة الصباح في نيويورك، أما في جبل لبنان فقد استفاقت القرى المتكئة بهدوء وسكون على كتفي الوادي...»[4] وهذا الرأي يعكس تصور الإنسان للمكان، وفيه دعوة واضحة وصريحة للهروب من جو المدينة الصناعية التي حولت الإنسان إلى آلة، بالعودة إلى الريف أين يطلق روحه في جو من السكينة والطمأنينة.

---

[1] سليم بتقة، ترييف السرد الروائي الجزائري، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص7.

[2] ينظر ، إبراهيم رماني ، المدينة في الشعر العربي الجزائر أنموذجا(1925–1962)، دار هومة للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر،ط2، 2001، ص70.

[3] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1994، ص30.

[4] عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 273.

كما أن " الوقت" يتحكم في العلاقات الإنسانية داخل المدينة إذ تشكل مصدرا للقلق وعدم الارتياح داخلها يقول "رجاء النقاش": « هذه مرحلة أخرى من مراحل الصورة الأليمة المريرة التي يلحظها الناس داخل المدينة، فالشيء الذي يحكم علاقاتهم هو السرعة [...] إنها رمز للطرف الثاني من أطراف الصراع داخل المدينة المليئة بالأحزان هذا الطرف هو الوقت، فما أكثر ما يتحمله إنسان المدينة من أعباء صغيرة لا تنتهي »[1] فنتيجة التغيير السريع والمتواصل الذي يطرأ على المدينة جعل منها نظاما آليا يسير الإنسان تفتقد المدينة بذلك لروح الإحساس والشعور تصبح العلاقات فيها باردة تطغى عليها السرعة مما يؤدي إلى ذوبان الهوية وقتل الإنسانية، وعليه فإن « المجتمع الذي يفتقد هذا التوازن تتناقض فيه الآراء بين القديم والجديد، وبين الروحيات والماديات، وبين التحفظ والاندفاع، ولا ريب أن هذه المتناقضات تولد أثرا سيئا في شتى الميادين »[2] فسرعان ما تتغير نظرته للمدينة حين يجد نفسه أمام عالم تتضارب فيه القيم من عادات وتقاليد وأخلاق، ليبدأ الإنسان بالبحث عن كيان تفاعلي جديد ألا وهو " الريف " يحقق كيانه الروحي والمادي .

وهناك من يحدد العلاقة بين الريف والمدينة بالقول إن « الريف هو الآن نفسه واقع مادي وجملة من التصورات، فهو الذي يجسم تصوراتنا للطبيعة والكينونة وهو الذي يختزن القيم المرتبطة بمعاني البدء، أمّا المدينة فتمثل تصوراتنا للإدارة والفعل وتجسم معاني النسبية وتخاطب الفكر فينا »[3] ولذا كان الحديث عن الريف يشير دائما إلى الطبيعة أين توجد البساطة في العيش، التعاون والطيبة، الجود والكرم، بالمقابل المدينة التي كرست الرغبة في التملك، ما ينتج عنه تفكك القيم السامية.

---

[1] عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، ص 279.

[2] علي فؤاد أحمد، مشكلات المجتمع الريفي في المجتمع العربي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 48.

[3] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، ص 216.

إن الإنسان عندما ينتقل من الريف إلى المدينة ويقيم فيها مدة تتيح له معرفتها عن كثب، فإذا كانت المدينة قد منحت للريف الحرية في طريقة العيش، وخلصته من العادات العشائرية التي تميز الريف (القرية) « لكن بمقابل هذه الحرية فقد حفزت أعصابه إلى حدّ " العصاب " بضجيجها ووضعته في خوف مستمر من الجريمة والسكارى، ومدمني المخدرات والمنحرفين وفي سخط دائم على تعقيدات البيروقراطية ، والرشوة والوساطة [...] وفي قمة ذلك كله يتولد لديه شعور بالاغتراب والعزلة »[1].

وهذا الموقف يبين شعور الإنسان تجاه المكان (المدينة – الريف) حين يجد نفسه تائها في عالم مليء بالمتناقضات، يتولد عن ذلك كله اغتراب روحي وفكري ونفسي.

[1] إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2001، ص90.

ثالثا: المدينة بين الرواية الغربية والعربية

لقد استطاعت الرواية أن تطرح قضايا المجتمع المعاصر بطريقة فنية وجمالية، نلمس من خلالها إبداع الكاتب ووجهة نظره تجاه العالم، والمدينة باعتبارها موضوع بحثنا كان لها حضور بارز في الرواية.

أ-المدينة في الرواية الغربية :

غدت المدينة من الموضوعات المهمة التي يمكن التعرف من خلالها على معالم التطور الفني للرواية الحديثة والمعاصرة، فقد أصبح القول بأن « الرواية هي كائن مدني انتسابا إلى المدينة الضخمة بديهة في نقد الرواية، لاسيما في نقد رواية القرنين التاسع عشر والعشرين »[1]، باعتبار الرواية تنقل الواقع الخارجي بكل مفارقاته، وربما كانت «الصلة بين الرواية والمدينة قد بدأت تنعقد منذ أن طرح هيجل في كتابه (الإستطيقا) فكرة أنّ الرواية ملحمة برجوازية»[2].

حيث ارتبط التطور في فن الرواية بتطور وارتقاء هذه الطبقة، دون أن ننسى الثورة الصناعية بإحداثها نقلة نوعية في تكوين المدينة الغربية، وفي هذا السياق يذهب "هنري متران" بالقول: « لا أعرف هل توجد دلالية تهتم بالفضاء المدني وإن أكد البعض المهندسين وجودها، كما انجروا في الموضوع عددا خاصا من مجلة Communications لكن لا يوجد على كل حال ملفوظ روائي للفضاء »[3].

المدينة إذن، تعتبر ظاهرة العصور الحديثة بفضاءاتها الحضرية ما جعل الحديث عنها مسهب في الأعمال الإبداعية.

وقد شهد القرن العشرون في أوروبا والولايات المتحدة اهتماما متزايدا بالمدينة وأصبحت أكثر الروايات مخصصة لها، فقد ظلت روحها ملهمة للروائيين، حيث جعلوها

---

[1] حسن حمودة، الرواية والمدينة(نماذج من كتاب الستينات في مصر)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، دط، 2000 ، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

[3] الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص21.

فضاء لإبداعاتهم. ويذكر أن ما كتب في الغرب عن المدينة في الرواية يتجاوز ما ألف في الشعر ربما لأن المدينة ظاهرة روائية أكثر منها شعرية [1].

وقد سعت الرواية إلى التعبير عن عالم المدينة بكل تناقضاته و صوره المختلفة، إذ جاء توظيف المكان / المدينة في النص الروائي للدلالة عن الأبعاد الجغرافية والفيزيائية والهندسية والتاريخية، النفسية والاجتماعية، لذا يكون التعامل معه كمعطى وجودي ينضم إلى المعطيات الأكثر سلبا من معطيات الحياة[2].

وعليه فالمدينة وعاء لكل الأحداث السياسية و الاجتماعية والثقافية لذلك كان تسليط الضوء عليها بارزاً، وينبع هذا الاهتمام من كون « المدينة بالذات هي المكان الذي يتسع لاستيعاب جدل وصراع التناقضات بكل أطرافها ومحاورها » [3]، وهنا يصبح المكان كائناً حياً يمارس حركاته في النص الروائي كونه متصل بالسلوك الإنساني والرواية « إنّما تعكس تمايزات المدن انطلاقا من التعبيرات النفسية والاجتماعية والسياسية »[4].

وعليه فالرواية لا تصور المدينة كرقعة جغرافية فحسب، بل هي كيان مثقل بعواطف ومشاعر ومواقف وهموم و انفعالات...

وربما « لم تأخذ المدينة شكل المركز الحضاري المتميز، ومقام ال نقل الكلي إلا حديثا، بعد أن تطور المجتمع، وتقدمت التكنولوجيا لتتيح للإنسان الجديد هندسة مدن عملاقة، يمكنها استيعاب مؤسسات كبرى وكثافة سكانية، وعلاقات متعددة ومعقدة [...] بحيث أصبح الإنسان علامة من علامات السياق المدني الجدلي، الذي يتحرك بسرعة مذهلة »[5] وهذا التحول في البنية التركيبية للمدينة ترتب عنه تغيير في بنية المجتمع ليجد

---

[1] سليم بتقة، الريف في الرواية الجزائرية (دراسة تحليلية مقارنة)، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2009، ص 4.

[2] الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص23.

[3] رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية، ص106.

[4] المرجع نفسه، ص18.

[5] إبراهيم رماني، أسئلة الكتابة النقدية (قراءة في الأدب الجزائري الحديث)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، د ط، د ت، ص80 .

الروائيون أنفسهم أمام فضاءات المدينة لرصد التحولات والتغيرات العميقة الطارئة على المكان باعتباره أحد العناصر الأساسية المكونة للنص الروائي السردي، حيث ذهب " شارل غريقل " بقوله: « إن المكان في الرواية هو خديم الدراما، فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى وسيجري به شيء ما، فمجرد الإشارة إلى المكان كافية كي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك لأنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث »[1].

وعليه فالمكان هو المحرك الأساسي للأحداث إذ لا يمكن وقوع حدث مادون ربطه بمكان معين ومن هنا « تأتي الصبغة الاستثنائية للمكان في الرواية، فهو لا يعني الدلالة الجغرافية المحددة المرتبطة بمساحة محددة في الأرض في منطقة ما، وإنّما أريد به دلالته الواسعة التي تتسع لتشمل البيئة بأرضها وناسها وأحداثها وهمومها »[2].

المكان إذن عنصر فعال داخل الرواية لذلك كان التركيز عليه من الأساسيات التي تميز الرواية الغربية كونه يمثل الحياة التي يعيشها الإنسان بكل تجلياتها.

نقول بأن تناول الروائي لـ " المدينة " يبقى في أوله وآخره تناولا إبداعيا ينهض على معايير فنية وجمالية إذ يرى " جان إيف تاديه" أنّ « المدينة الروائية هي قبل كل شيء عالم من الكلام سواء كانت انعكاسا أو انزياحا »[3] معنى هذا القول أن الكتابة الإبداعية (شعر / رواية) لا تأخذ المدينة كمظهر خارجي فقط (نقل حرفي) بل تحلق في سماء فضاءاتها الواقعية والمتخيلة.

ومن المدن الروائية التي يعني بها " تاديه " مدينة هيليوبوليس التي عنونت رواية جنجر [...] ويضيف " تاديه " أنموذجا آخر للمدينة الروائية كالذي تبدّى في رواية كافكا (المحاكمة) حيث تتلامح معالم براغ ، وإن كانت الرواية لا تسمّيها [4]، فالرواية إذن قد

[1] صالح ولعة، المكان ودلالته (في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف)، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص57.

[3] نبيل سليمان، أسرار التخييل الروائي، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق، سورية، دط، 2005، ص31.

[4] المرجع نفسه، ص31.

لا تذكر اسم مدينة بعينها يكتفي الكاتب بإبراز ملامحها وضح ذلك "نبيل سليمان" في كتابه "أسرار التخيل الروائي" بإستراتيجية اللاتعيين.

إن ما يجعل الطراز المعماري لمدينة ما أدبيا هو أن الأدب يمنح الصمت صوتا ويجعل المدينة تعبر عن عالم التخييل إلى عالم محسوس في الوقت الذي لا تتحدث فيه المدينة ولا يكون لها وظيفة إلا وظيفة واحدة وهي توفير السكن والسماح بحياة اجتماعية حول الميدان تدور فيه الحياة السياسية والاقتصادية المالية وتدور الحياة الدينية حول معابده وكنائسه [1].

فالمدينة « ليست آلة تدور في حلقة مفرغة ، إنّها تلم فضاءاتها الطبيعية والمادية لتنسج ضلالا للشخصيات والأفعال وتملأ الفضاء الروائي بعلامات واستعارات فنية »[2] وعليه فالروائي يجعل من المدينة رمزا في كتاباته نقرأ من خلالها الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصية وما يعتريها من غموض.

وربما « فرادة كل مدينة تحتم فرادة كل روائي في معالجتها لها »[3]، وعليه فالمدينة الواحدة يمكن أن تتناول في أكثر من رواية.

[1] جان إيف تاديه، الرواية في القرن العشرين، تر: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998، ص101.

[2] حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، ص143.

[3] حسن حمودة، الرواية والمدنية(نماذج من كتّاب الستينات في مصر)، ص28.

ب-المدينة في الرواية العربية :

اتخذت الرواية العربية من المدينة بيئة لها وموضوعا خصبا لا يستهان به لتمكن القارئ من تصور المدينة في إطار فني شكّله الكاتب بإبداعه الخاص، فقد استطاع الروائي رصد الكثير من التناقضات التي يزخر بها عالم المدينة وصورة الإنسان داخلها حيث شغلت المدينة حيزا كبيرا للأحداث في الرواية والشعر، باعتبار المكان يمثل عند الكثيرين «هوية العمل الأدبي إذا افتقد المكانية يفتقد خصوصيته وتاليا أصالته»[1].

فالزمان والأحداث والشخصيات تتحرك ضمن إطار مكاني معين وربما « لم يتحدد موضوع المدينة في شعرنا القديم إلا في العصر العباسي، حيث أصبحت سمة للحياة الجديدة، ولتطور الواقع الحضاري العربي الإسلامي، الذي خرج من طور البداوة إلى طور التمدن، ففي العصر العباسي اكتمل النموذج المجتمعي والحضاري العربي، ومن اكتملت رؤية الفن والشعر للمدينة كمركز للحضارة ورمزها »[2].

وهذه الرؤية كانت محتشمة نوعا ما في بادئ أمرها، جعلت من الشعر/ الرواية تنظر إلى المدينة من الخارج (وصف مظاهر الحضارة الراقية)، ولذا « جاء تاريخ المدينة العربية الجديدة حاملا لمعاناة مزدوجة، هي المعاناة من الذات والتراث العربي، ومن الآخر والمدينة الغربية، أي كان الإحساس متوترا بين قبول المدينة المعاصرة ورفضها »[3].

نتيجة الاحتكاك الحضاري بالغرب، وما أحدثته الثورة الصناعية من تأثير في شتى جوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بدت العلاقة بين الإنسان والمكان تحمل نوعا من المعاناة عبّر عنها "عز الدين إسماعيل" بقوله: « ولعله من الواضح أن الشعور بالوحدة ليس مجرد أثر لانقطاع علاقة عاطفية ، وإنّما هو انعكاس كذلك لوجه الحياة في المدينة ويتبع هذا الشعور بالضياع، فالإنسان في المدينة وحيد ومضيع »[4] .

---

[1] صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2003، ص 13.

[2] إبراهيم رماني، أسئلة الكتابة النقدية، ص77.

[3] المرجع نفسه، ص78

[4] عبد الله رضوان، البني الشعرية (دراسات تطبيقية في الشعر العربي)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص21 .

ثم إن صورة المدينة هي إحدى تجليات رؤية الشاعر/الروائي إلى المكان، هذه الرؤية الجمالية التي يفرزها الواقع المعيشي، ومن هنا يكون البحث عن صورة المدينة في المتن الروائي، محاولة للكشف عن إبداع النص وتاريخه الثقافي[1].

وإذا سلّمنا بأن « الرواية شكل أدبي مفتوح، قام على استيعاب عناصر فنية تنتمي إلى أجناس تعبيرية شتى [...] فضلا عن سمة التنوع التي وسمت الرواية الحديثة خصوصا»[2] فالرواية تقوم على تعدد الشخصيات وتنوع الأحداث، وهي تشترك مع السرد العربي القديم (الحكاية والقصة) في الوصف والحوار والصراع، بالإضافة إلى الأسطورة والملحمة والمسرح....

مقابل ذلك فإن « المدينة قامت دائما على التنوع، بحيث كانت ولا تزال أشبه بوعاء ضخم فضفاض لطبقات اجتماعية عدّة ولأجناس وديانات شتّى وثقافات مختلفة، ولأشكال متباينة..» [3].

وهذا التنوع ظهر بشكل واضح مع ظهور الثورة الصناعية وما واكبها من نمو وتطور في وسائل الإنتاج والإعلام والاتصال، أدى ذلك إلى توسع أفق المدن وانفتاحها على الثقافات الأخرى .

على العموم يمكن القول أن الرواية العربية هي جزء من التأثيرات الثقافية للمدينة الأوروبية على المدينة العربية، كما أن الرواية العربية تطورت بتطور الأوضاع والتناقضات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المدينة،وأصبحت تتميز بحق على أنّها فن المدينة، وأنها تتطلب كاتبا معايشا للمدينة وواعيا لعلاقاتها وتناقضاتها [4].

ولعل دراسة "غالب هلسا" للمكان في الرواية العربية هي أولى الدراسات التي تناولت المكان باعتباره عنصرا حكائيا مهما في الرواية، وقد تطرق الباحث إلى علاقة التأثير المتبادل بين المكان والسكان[5].

---

[1] ينظر، إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي (الجزائر أنموذجا)، ص8.

[2] حسين حمودة، الرواية والمدينة (نماذج من كتّاب الستينات في مصر)، ص25.

[3] المرجع نفسه، ص25.

4 رزاق إبراهيم، المدينة في القصة العراقية، ص15.

[5] محمد عزام، فضاء النص الروائي(مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، ص111.

ومع نضج الرواية العربية في الثلاثينات من القرن العشرين، وتنامي المدينة العربية في مصر والشّام خاصة، واحتكاك المثقفين العرب ببيئة المدينة، أصبحت المدينة مكانا هاما لأحداث كثيرة من النتاج العربي الذي مثّله كما نوعا الروائي نجيب محفوظ، كانت القاهرة كثيرة الحضور في رواياته، حتى أنّها حضرت فيها بأحيائها الشعبية والتاريخية والبرجوازية، وبآثارها ومقاهيها ودروها[1].

باعتبار أن الرواية ألصق الفنون الأدبية بالمجتمع، وهي تمثل صورة عاكسة للإنسان داخل المكان لذلك فقد « شغلت أماكن السكنى الكبرى كالمدينة، والبلدة والقرية والحي، مكانا بارزا في الرواية العربية المعاصرة »[2] وهذه الأماكن جاءت في الرواية العربية بين القبول والرفض، جسدت موقف الإنسان العربي من المكان.

وتحضر كلمة المدينة في المدونة الروائية المعاصرة بكثافة حتى أن البعض منها لا تكاد تخلو صفحة من ذكرها كما هو الحال في رواية " سيدة المقام" لـ "واسيني الأعرج " التي يمكن عدها رواية مدينة، وكذا رواية " ذاكرة الجسد " لـ " أحلام مستغانمي" إذ تنقل كثافة حضور المدينة المكان إلى مستوى الوعي فيما تبرز وجهة نظر الكاتب للعالم [3].

وحضور المدينة في الرواية الجزائرية كان نتيجة المراحل التي مرت بها الجزائر في تاريخها السياسي والاجتماعي والثقافي، إذ بدت المدينة في بعض النصوص وكأنّها « النسيج الجغرافي الوحيد لما تقدمه من تجربة واقعية حية إلى جانب الجمالية التي توفرها، فكان الروائي الجزائري مسكونا بالحياة الثقافية والسياسية الجزائرية في فترة معقدة من تاريخ العلاقة بين الأعراف السياسية في تسعينات القرن العشرين » [4].

فالمدينة إذن، تشكل فضاء رحبا يتسع لمختلف الأحداث والتصورات وقد عرف المكان بأنه « الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان

[1] سليم بتقة، الريف في الرواية الجزائرية"دراسة تحليلية مقارنة"، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، ص15.

[2] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص29.

[3] الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص59.

[4] المرجع نفسه، ص59.

ومجتمعه»[1] وعليه فالمكان يلخص لنا مظاهر التفاعل لدى المجتمع من تأثير وتأثر، هو بمثابة وسيلة يستخدمها الكاتب لربط العلاقات بين الأفراد والمجتمعات.

نقول أن الرواية الغربية والعربية اهتمت بالمدينة كمكان خصب مشبّع بالعلاقات الإنسانية، فقد كان التعامل معها مرتبط بالأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية التي تنعكس على الإنسان.

ولأن الرواية تعبير فني عن الواقع، دفعت بالروائيين إلى التعبير عن المدينة كل حسب وجهة نظره، فالروائي يكتب عن المدينة التي يعرفها أو عاش فيها، يجسد من خلالها رؤيته الخاصة للمكان، وربما كانت معظم النصوص الروائية مصدرا للقلق والاغتراب، وتفكك القيم الإنسانية، ما جعل موقف هؤلاء الكتاب يتسم بالرفض والنفور من المدينة.

[1] ياسين النصير، الرواية والمكان(دراسة المكان الروائي)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط 2، 2010، ص70.

الفصـــــــل الثانـــي

المدينـة: الفضاء والدلالـة

أولا : الفضاء المفتوح

1. الأحياء والشوارع
2. الساحات
3. المدينة
4. الريف
5. المقهى

ثانيا: الفضاء المغلق

1. البيوت والغرف
2. الفندق
3. المكتبة

شكل الحديث عن المدينة كفضاء منطلقا حاسما للعديد من الدراسات، باعتبار أن المكان يعد شرط الوجود الإنساني الذي لا يحدد ذاته إلا به من خلال سلطة الحضور والغياب « فالشخص حينما يحضر إنما يحل في فضاء، وعندما يغيب فهو ينتقل إلى فضاء آخر والفضاء بهذا المعنى هو البداية والنهاية. انه عنصر ثابت محسوس سهل له ثباته القابلية للإدراك من طرف كائن مستقر أو متحرك »[1].

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الفضاء الروائي « بمثابة بناء يتم إنشاؤه اعتمادا على المميزات والتحديات التي تطبع الشخصيات، بحيث يجري التمديد التدريجي ليس فقط لخطوط المكان الهندسية، وإنما أيضا لصفاته الدلالية ذلك لكي يأتي منسجما مع التطور الحكائي العام »[2]، بمعنى أن الفضاء المكان يضفي بالضرورة جملة من الدلالات والإيحاءات التي تقع ضمن النص الروائي تتحدد أساسا في العلاقات الرابطة بين الإنسان والمكان.

كأن « يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط به، بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها »[3].

وعليه فالفضاء الروائي يكشف عن التأثير المتبادل بين الأمكنة والشخوص، والحالة النفسية التي تنتاب الإنسان داخل المكان ومادامت في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة، فان فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا انه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل أو الشارع أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكانا

[1] الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص22.

[2] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص30.

[3] المرجع نفسه، ص 30.

محددا، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها، فإنها جميعا تشكل فضاء الرواية[1].

أولا: الفضاء المفتوح

تحتل الفضاءات / الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الرواية، إذ أنها تساعد على «الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها »[2]، لذا فالأماكن المفتوحة لا تضبطها حدود ضيقة فهي تشكل فضاء رحبا للأحداث والوقائع اليومية التي يعشها الفرد، والتي تتجلى فيها بوضوح الحركة والانتقال. وهي بالنسبة للشخصية « تشكل مسرحا لغدوها ورواحها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها »[3]، إذن الفضاء المفتوح هو مكان واسع وعام، تتردد عليه الشخصيات بما يقع عليها من تفاعلات وعلاقات عبر هاته الأماكن، والتي تجلت بصورة واضحة في رواية " انكسار" لـ "محمد مفلاح "، تمثلت في:

1/ الأحياء والشوارع:

يعتبر فضاء " الحي" وكذا " الشارع" مجالا مفتوحا تمارس فيه الشخصيات حياتها بكل المستويات، كونها تمثل محل التقائها، وتقابلها ومجال توافقها وتعارضها.

وقد ورد الحديث عن الأحياء بشكل لافت للانتباه في رواية " انكسار" باعتبارها فرصة للنشاط والعلائق الاجتماعية المتنوعة، حاول من خلالها "محمد مفلاح" تسليط الضوء على بعض الأحياء التي تتحرك ضمنها شخصيات الرواية، وفي قوله « **شقت سيارة المرسديس بسرعة جنونية الشارع الرئيسي، ودارت حول ملقتى طرق المدخل الغربي للمدينة، ثم اندفعت صوب حي " الكاستور" وعند الملتقى الثاني اتجهت**

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000، ص63.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص79.

[3] المرجع نفسه، ص 79.

إلى منطقة الحي الجديد »[1]، نجد أيضا حي تليمنة الذي يقع فيه مسكن " عباس البري" وذلك في قول السارد « **رجع إلى مسكنه بحي تليمنة المطل على سهل وروابي وجبال الجهة الشمالية للمدينة** »[2].

وهناك أيضا " الحي" الذي تقطن فيه عائلة " عباس" في قول الراوي « **أما زبيدة المطلقة فقد فضلت البقاء مع والدتها بشقة حي منحدر السوق** »[3]، والجدير بالذكر أن أحياء المدن تتميز بالضيق خاصة الأحياء الشعبية التي تتبادى فيها « صفة الضيق أو المحدودية التي تربط على التوالي بالدروب والأبواب والشوارع، ثم هناك صفة القدم أو العتاقة التي تظهر على الجدران النوافذ »[4].

قدم الروائي أحد هذه الأحياء التي تتسم بالحركة المتواصلة والدائمة بقوله « **ثم أسرع الخطى عبر الطريق المؤدي إلى حي الرق** »[5] وهذا الحي هو من أقدم الأحياء الشعبية بغليزان، إذ يرجع وجوده إلى الحقبة الاستعمارية بالجزائر.

أما الشارع فيعد الشريان الذي يمد المدينة حياة فهو دائم الخصب ونقطة تقاطع عمومية للفضاءات الشعبية، وعليه فقد استحالت محدوديته على اتساع مجازي[6].

والشارع يشكل بالفعل مسرحا يستقبل الناس من مختلف الفئات، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال التغاضي عن الأثر الذي يتركه المكان في نفسية ساكنة نلمس ذلك من خلال قوله « **وساح في المدينة، قضى أكثر من ساعة وهو يمشي في الشوارع التي بدت له صاخبة، متوترة الأعصاب، وغير آبهة بمصيره المشؤوم** »[7]، فالإنسان لا يحتاج يحتاج إلى رقعة جغرافية يعيش فيها فقط، إنما يحتاج إلى مساحة نفسية تكون له مجالا

---

[1] محمد مفلاح، انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010، ص12.

[2] الرواية، ص5.

[3] الرواية، ص66.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص81.

[5] الرواية، ص44.

[6] جيرار جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، تر:عبد الرحيم حزل، دار إفريقيا للنشر، لبنان، د ط ، 2002، ص127.

[7] الرواية، ص55.

للبوح ومتنفسا عما يختلج في صدره من أحاسيس ومشاعر تجاه المكان. فيصبح " الشارع" يؤثر في الشخصية التي تتحرك عبره سلبا أو إيجابا..

اتخذ الكاتب من فضاء الشارع مجالا للتعبير عن أحاسيس البطل الممزوجة بالقلق والتوتر، ففي حديث السارد وعن البطل حيث « **لاحظ ازدحاما عجيبا في شوارع المدينة فازداد قلقه، أراد أن يسأل سائق الأجرة عن سبب هذا الازدحام العجيب ولكنه سرعان ما ابتلع سؤاله وتنهد حانقا على كل الناس**»[1].

تجسد هذه الصورة رؤية الشخصية لشارع المدينة الذي بدى لها مكانا يعج بالمارة إذ يمثل الشارع « شريانا للمدينة »[2] يتردد عليه عامّة الناس فهو لا يخضع لملكية أحد يمارس فيه الناس حياتهم بشكل طبيعي ولاشك أن الشوارع باعتبارها فضاءات مفتوحة تشكل أماكن عبور هامة بالنسبة للشخصيات الروائية.

وقد رصد الكاتب تحركات البطل في شوارع عديدة، جاءت بأسماء لها تاريخ حافل باستقلال البلاد والنضال من أجل التحرير في مثل قوله « **ثم تحرك راجعا نحو الباب الخارجي، وبعد ذلك انخرط في شارع عبّان رمضان** »[3]، « **وسار بخطى متثاقلة في شارع ديدوش مراد** »[4]، وفي مقطع آخر يسرد الراوي حكايات البطل حيث « **تابع مشيته مشيته عبر شارع العربي بن مهيدي** »[5]، « **ووضع عينيه على النظارة الشمسية التي ابتاعها أمس من محل بشارع ديدوش مراد** »[6] و « **في شارع حسين عسلة اعترض طريقه شيخ هزيل ذو لحية رمادية كثيفة** »[7] وهذه الأماكن ارتبطت بالتاريخ الثوري للجزائر.

---

[1] الرواية، ص75.

[2] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 65.

[3] الرواية، ص76.

[4] الرواية، ص 87.

[5] الرواية، ص 102.

[6] الرواية، ص 102.

[7] الرواية، ص 109

من الملاحظ أن الأحياء والشوارع جاءت في الرواية كعناصر مكونة للمكان خاصة وأن « المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية »[1]، حيث يتحرك الناس عبر الشوارع والطرقات والأزقة، للوصول إلى أماكن عملهم ولقاءاتهم مع الآخرين في أوقات فراغهم، وهي تمثل فضاء يتيح التنقل بكل حرية.

2/ الساحات:

تعتبر الساحات إحدى الفضاءات المكانية المفتوحة على عالم المدينة، يتم فيها التواصل بين الأشخاص لقضاء حوائجهم من تبادل وشراء وبيع إذ تقام بها عادة الاحتفالات أو الأسواق المفتوحة، ومختلف التظاهرات الثقافية والاجتماعية، ما يجعلها منفتحة على الآخر وفضلا عن عموميتها فإنه « يتعين أن تكون معروفة باسم ومنها ما يكون له تاريخ ووقائع معروفة تبلغ أحيانا درجة الأسطورية »[2].

وبالنسبة للساحات في رواية "انكسار" نلاحظ أن الروائي لم يتعمق كثيرا في سرد الأحداث التي تحصل فيها، بل اكتفى بذكرها ووصف البعض منها، يمكن أن تمثل بمقطع من الرواية لإحدى الساحات من خلال حديث الروائي عن عباس الذي « **توقف في ساحة بورسعيد الفسيحة ذات أشجار الفيكوس الباسقة، المكتظة بالمسافرين، والزوار والسياح، والمشردين، ورواد المقاهي، والباعة المتجولين، وتجار العملة الصعبة. كانت الساحة تعج بالحركة التي تجعل الإنسان ينسى نفسه**»[3].

وساحة " بورسعيد" هنا تشكل فضاء حضريا، وتؤدي وظيفة حيوية في حياة الناس إذ تمكن من استيعاب مختلف فئات المجتمع من متجولين وباعة وسياح، ما يجعلها تعج بالمارّة، أضف إلى ذلك الوصف الذي قدمه الكاتب لساحة الشهداء في الجزائر أثناء

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، ص 76.

[2] قرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجيستير، ص 192.

[3] الرواية، ص76.

حديثه عن البطل « **ثم خرج من الفندق واتجه إلى ساحة الشهداء التي وجدها تعج بالمارة، وسار في الجهة التي رصفت عليها عربات باعة الملابس المستوردة** »[1].

وذكر هذه الفضاءات بأسمائها داخل البناء الفني، شكل ظاهرة فنية جمالية، استطاع الروائي محمد مفلاح أن يأخذنا بالخيال والتفكير إلى هاته الأماكن وكأننا نعيش تلك الأجواء. كأن يقول « **كان يحتسي شايا في الصالون المقابل لساحة الأمير عبد القادر**»[2].

بطبيعة الحال فان لكل كاتب طريقته الخاصة في صياغة هذه الأماكن المفتوحة ولكل وجه نظره في وصف تلك الفضاءات التي يستقر فيها أما بالراحة والاطمئنان، أو النفور والقلق، فيسعى جاهدا وراء البحث عن مكان آخر يطلق روحه فيه من أجل التكيف والاستقرار، وقد جعل الروائي من ساحات المدينة مكانا للتنقل واللقاءات مع الآخرين « **شهيناز.. لاتقلقي.. انتظريني في ساحة اودان** »[3]، « **ثم احتضن محفظته الثقيلة وأسرع الخطى إلى ساحة موريس اودان**»[4].

في مقابل هذا تبدو رواية " انكسار" منذ بدايتها منفتحة على عالم المدينة. بدى ذلك واضحا من خلال ذكر الأحياء والشوارع والساحات بصفة متكررة، حتى تكاد لا تخلو إحدى صفحات الرواية إلا و فيها هذه الفضاءات المفتوحة التي تؤثر في ساكني المدن بشكل إما إيجابي أو سلبي.

---

[1] الرواية، ص 78.

[2] الرواية، ص79.

[3] الرواية، ص93.

[4] الرواية، ص 93.

3/ المدينة:

تشكل المدينة إحدى الفضاءات المفتوحة، التي ساهمت في تكوين الشخصية الروائية بالتأثير في مسار حياتها حيث « يكشف المتلقي عن طبيعة علاقة الشخصيات بالمدينة التي تقيم فيها فهي تمثل المسرح الذي يكون للشخصيات فيه أدوار في الحياة" »[1] ونلمس ذلك من خلال الملامح المتبادلة بين الإنسان والمكان، كما سبقت الإشارة في الفصل الأول.

إذ تكتسي المدينة في الرواية أهمية كبيرة، باعتبارها فضاء رحبا على قدر من التنوع والثراء، وقد كشفت الرواية عن ديناميكية "حركية" المدينة التي تشهدها مختلف أحيائها وشوارعها وأزقتها وساحاتها، نمثل لذلك بمقطع من الرواية أثناء حديث "عبد القوي" مع " عباس" يقول: « **مازلت متعلقا بمدينتي الجميلة.. فكيف أنسى شوارعها العريضة وساحاتها الفسيحة وحدائقها الجميلة وبساتينها الغناء وربوتها الشامخة، ووادي مينة الشهير وجسره القديم.. مازلت أتمنى العيش بها ولكن زوجتي وأولادي يرفضون مغادرة العاصمة التي حققت فيها أحلامي** »[2]، نلاحظ هنا تعلق الشخصية بالمكان من خلال الوصف الذي قدمه لمدينته التي بات يحلم بالعودة إليها، وتتمظهر هذه الأماكن باتساع وضيق حيث تدخل ضمن هندسة الإنسان للمكان، والمدينة باعتبارها طراز متميز للحياة عمد الكاتب إلى رسم بعض من ملامحها في قوله: « **المدينة الجميلة المطوقة بسهول خصبة تحاصرها سلاسل من الجبال والروابي**»[3].

فالمدينة إذن بجمالها استقطبت نظر الكاتب، وعليه فإن « المكان يرتقي بالكائن فيه إلى المستوى الذي يجعله يندمج فيه، مثلما يسير الكائن إلى المكان الذي يوجد فيه شيء

---

[1] محبوبة محمدي محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوار رية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011، ص 45.

[2] الرواية، ص91.

[3] الرواية، ص11.

من وحدته الخاصة، وهو نوع من تقابل التبادلات بين الأشخاص والأمكنة »[1]، إذ يؤثر المكان في الكائن الذي يسكن فيه ويميزه عن غيره.

زيادة على ذلك تحظى " المدينة" في رواية" انكسار" باهتمام الكاتب من خلال الوصف الذي قدمه « **ما أجمل العاصمة المتلألئة الأضواء في أجواء الليل الهادئ وهما يتحدثان عن المستقبل القريب !.. لقد زار عواصم عربية وغربية ولكنه لم يجد مدينة أجمل من مدينة الجزائر البيضاء** »[2]، ورسم المكان بهذا الشكل كان خادما لبناء الشخصية، ويتناسب مع الحالة النفسية التي تمر بها، إذ كشف هذا المقطع عن جمال مدينة الجزائر التي بدت له بيضاء، هذه الكلمة تحمل دلالات عديدة توحي بالانشراح والطهر، والصفاء، والنقاء. وكأن الجزائر قد « تمثلت عبر علاقاتها الفنية في مدينة جديدة قام الروائي [محمد مفلاح] بإعادة بنائها جزءا جزءا في تجربة فريدة في البناء الروائي»[3]، وتحضر المدينة الجزائرية في رواية "انكسار" بالاسم تبين ذلك في مقطع من الرواية حين « **انتقل خليل البري إلى مدينة مستغانم مطالبا بأراضيه ثم توجه إلى مدينة الجزائر لتقديم شكواه [...] لمنه ضاع في شوارع العاصمة وأزقتها**»[4].

ومن خلال الرواية تمثل مدينة الجزائر مركزا لذوي النفوذ والسلطة فقد انتقل بطل الرواية "عباس" إلى مدينة الجزائر لتسوية مشاكله المتعلقة بالديون المتراكمة عليه والتي بات البنك يطالبه بتسديدها وقد « **تحمس فجأة للسفر إلى مدينة الجزائر الصاخبة التي كان يتخفف فيها من بعض الهموم، سيقضي فيها بعض الأيام حتى يستعيد بعض هدوئه، لكنه سيستغلها في البحث عن حل لإنقاذ مركزه التجاري** »[5]، إذن مدينة الجزائر

[1] حسن نجمي، شعرية الفضاء، (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، ص140.

[2] الرواية، ص 84.

[3] عبد الله رضوان، البني السردية " نقد الرواية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 2003، ص23.

[4] الرواية، ص57.

[5] الرواية، ص 52.

العاصمة كفضاء مفتوح كانت أحد ملاذات الشخصية الرئيسية للتنفيس عن الفراغ النفسي الذي تعيشه، باعتبار أن كل ما يطرأ على المكان تتأثر به الذات.

وتحضر "المدينة" بكثرة في الرواية، سلط الروائي الضوء عليها من خلال رصده لشوارعها المضاءة وحركة أناسها الدؤوبة، وما تحمله من انفتاح على كافة شرائح المجتمع خاصة وأنّ: « **العاصمة مدينة حيوية** »[1]، فهي فضاء رحب تستقبل الزوار والسياح والمتجولين، لذلك تكثر فيها الحركة التي قد تصبح مصدر إزعاج وضيق وقلق للشخصية الروائية.

ثم إن بناء الرواية الماثلة بين أيدينا جاء انعكاسا لحالة الانهزام والفشل التي عانت منها الشخصية البطلة "عباس البري"، فتظهر أهميتها أساسا من خلال العنوان" انكسار" هذه الكلمة تحمل الكثير من الدلالات والمعاني مجسدة في الانهزام، والفشل، والاستسلام وقد رصد الروائي "محمد مفلاح" صورة القلق الذي انتاب عباس أثناء هروب زوجته من البيت، وتهديده بحجز مركزه التجاري إن لم يتم تسديد الديون « **ففي مدينته أصبح كل شيء يذكره بنجاة ويعجزه عن مواجهة أمر هروبها من البيت، لاريب أن ابتعاده عن جو المدينة سيساعده على تجديد طاقته لمواجهة متاعب الأيام القادمة**»[2].

إن توظيف الكاتب للمدينة يكشف عن حالة الشخصية وما ينتابها من قلق وتوتر في المكان الذي تسكنه، ويسرد لنا الروائي الواقع الذي آل إليه عباس في مواجهة مشاكله بالفرار من جو المدينة، إنما هي سمة من سمات الحياة اليومية التي يعيشها الفرد إذ قام الروائي برصد عالم المدينة بكل تناقضاته عبر بناءه الفني.

[1] الرواية، ص 111.

[2] الرواية، ص 52.

4/ الريف:

احتلت القرية –الريف– مكانا شاسعا في الرواية العربية الجزائرية، إذ لا تكاد تخلو هذه الروايات من فضاء الريف، شانه في ذلك شان المدينة، ويقف الريف مكانا مفتوحا يبسط أمامنا الحياة الإنسانية في طبيعتها وبساطتها.

وفضاء الريف – القرية– لايقل أهمية عن فضاء المدينة باعتباره الفضاء الطبيعي الواسع، ونجد أن القرية « ظلت تحتل في الرواية العربية مكانا رفيعا في جماليات المكان»[1]، وربما كان هذا الاهتمام الزائد بالريف لكون الروائيين ينسبون إليه، أو أن الأحداث والوقائع الحاصلة يوميا تقع أساسا في الريف، فكان الإفصاح عنها والعودة إليها لابد منه، وذلك بتسليط الضوء على النظام السائد في الأرياف من عادات وتقاليد وقيم أخلاقية تنعكس على الفرد، أضف إلى ذلك ما يبديه الريف من هدوء وسكينة وطمأنينة جعلت العودة إليه أمر لابد منه.

وربما كانت القرية تمثل الطبيعة بأسمى معانيها فهي تجسد الأرض و « الأرض هي عامل أمن وطمأنينة والعودة إليها عودة إلى هذه الأيام القديمة الخالدة، لذلك كان الأنس إليها مدعاة للتوازن النفسي والانسجام الرائع مع الطبيعة، ولها في ذلك فضل ما تمنحه للإنسان من شعور بالتواصل والاستمرار»[2].

وقد حفلت رواية " انكسار" بالحديث عن القرية، لكنها لم تفصح عن اسم القرية، بل عمد الروائي إلى استخدام كلمة " الدوار" الذي فضله خليل البري بالعيش والاهتمام بأراضيه « **لما استرجعها في عهد التعددية الحزبية فضل الاستقرار بالدوار. واهتم بخدمة مزرعته بنفسه**»[3].

وفي جزء آخر من الرواية نتبين مدى أهمية الأرض في كونها مصدر للرزق والحياة الكريمة، قدم لذلك الروائي بقوله " « **لقد تنكرتم للأرض التي جعلت منكم أناسا محترمين**

[1] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص40.

[2] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، ص204.

[3] الرواية، ص 57.

في المدينة بمداخيل هذه الأرض اشتريت مسكنا ومحلا تجاريا وشاحنة نقل »[1]. ولا شك أن هذا المقطع يكشف عما يقدمه الريف للمدينة، فمهما اتسعت افقها ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية، إلا أنها تبقى في حاجة ماسّة إلى الريف – القرية– فتكون العلاقة بينهما تواصلية نفعية.

برغم ما يقدمه الريف – الدوار– من هدوء وطمأنينة تحقق التوازن النفسي للإنسان إلا أن البعض يفضل العيش بالمدينة والتمتع بإغرائاتها تماما كما فعلت زوجة "خليل البري" التي فضلت حياة المدينة وفي حديث لها مع "عباس" تقول « **لاتحدثني عن والدك. لقد جن الرجل.. كيف يفضل العيش بالدوار على الحياة في بيته بالمدينة، لقد هاجر سكان الدواوير إلى غليزان ومستغانم ووهران، وهو المسكين يريد العيش في دوار ميت**»[2]، والذي بدوره « **رفض العودة إلى المدينة بعدما استقر بدوار البطحاء** »[3]، نلحظ هنا مدى الارتباط بالمكان الذي يطبع الشخصية بطباعه، وقد ارتبطت هذه الأماكن بالشخصيات تبادل فيها الطرفان عملية التأثير والتأثر.

5–المقهى:

تعد المقهى أحد الفضاءات المفتوحة، تكون مخصصة لاستقبال جميع شرائح المجتمع دون استثناء، يقصدها الجاهل والمثقف، الغني والفقير لتبادل الأفكار والاستطلاع عن قضايا المجتمع، كما يلجأ إليها الناس بغرض الترفيه عن النفس وتمضية الوقت.

فكانت المقهى حاضرة داخل النصوص الروائية بمختلف صورها ودلالاتها عكست بدورها الواقع الاجتماعي اليومي، إذ تمثل « فضاء دلالي له خصوصياته تجعله حاضرة باستمرار كمادة أساسية في الفن القصصي والروائي يستقطب اهتمام المبدعين في الشرق

[1] الرواية، ص 64.

[2] الرواية، ص 27.

[3] الرواية ص 26.

والغرب »[1] فهي بذلك تأخذ بعدا جماليا حاول الروائي " محمد مفلاح" إدراجه ضمن رواية " انكسار" حيث شكلت المقهى نقطة من نقاط الالتقاء والتعارف بين الناس، فقد رصد الكاتب لقاء "عباس" مع فتات تدعى "جويدة" تعرف عليها في إحدى المقاهي خلال زيارته إلى مدينة الجزائر عندما « **كان يحتسي شايا في الصالون المقابل لساحة الأمير عبد القادر، لما اقتربت منه الفتاة البيضاء ذات الجسم الممتلئ، وطلبت منه قلما للكتابة** »[2].

وهنا استخدم الروائي لفظة الصالون إشارة إلى المقهى الذي شكل فضاء حيويا تتفاعل عبره الشخصيات الروائية، إذ بدت " جويدة" مثيرة بلباسها الفاتن وملامح وجهها الجميل كما ورد في الرواية، لفت ذلك انتباه " عباس" حيث قام من مكانه « **ودعاها إلى شرب قهوة أو عصير برتقال فقبلت الفتاة الدعوة وجلست قبالتـه، تم التعرف بينهما بسرعة حول عصير الفواكه والشاي والحلوى**»[3].

اتخذ " عباس" المقهى كمكان خاص يتردد عليه من حين لأخر لتبادل أطراف الحديث مع "جويدة" حيث « **كان يسعده لقاؤهما في صالون الشاي** »[4] وهي لقاءت مؤقتة يقصدها الشخص تلبية لحاجيات نفسية وربما عاطفية كما هو الحال عند " عباس".

كما أن المقهى تشكل إحدى مظاهر الحياة المعاصرة داخل المدينة إذ يعتبر «علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي »[5]، فالمقهى إذن يساعد في التعرف على ثقافات الآخرين باعتباره فضاء مفتوح يستقطب طبقات اجتماعية مختلفة.

والملاحظ على رواية " انكسار" أن الروائي لم يركز على وصف المقهى، إنما حاول تقديم صورة للحالة النفسية التي انتابت " عباس" الذي اتخذ من المقهى مكانا للجلوس واحتساء الشاي إذ « **شرب عباس البري شايا في مقهى شارع عيان رمضان ثم ابتاع**

---

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي الأدبي، ص 72.

[2] الرواية، ص 79.

[3] الرواية، ص 81.

[4] الرواية، ص 84.

[5] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 195..

جريدة معربة من الكشك المحاذي للمقهى »[1]، وفي مقطع آخر يصور لنا الروائي نفس المشهد بقوله: « **جلس في المقهى المقابل لفندق السفير، طلب شايا وأشعل سيجارة واخذ منها نفسا عميقا ثم قلب صفحات الجريدة** »[2]. تبدو المقهى هنا مجرد مكان للجلوس وتصفح الجريدة فتكون بمثابة متنفس هروبا من ضغوطات الحياة اليومية..

الواقع أن فضاء المقهى يأخذ دلالات عديدة تتسع وتضيق بحسب تفاعل الشخصية داخلها فنجد أن « فضاءات المقهى تتعدد حتى نكاد لا نرى فضاء روائيا إلا وكان المقهى مساحة جزئية من مساحاته »[3] فهناك من يتخذ المقهى مكانا للترفيه وتمضية الوقت، وهناك من يتخذه وسيلة لتبادل المعلومات والأفكار، تلتقي عندها الشخصيات بحثا عن الراحة النفسية، فتكون المقهى عند هؤلاء ملاذا يتم الاحتماء فيه.

[1] الرواية، ص 96.

[2] الرواية، ص 105.

[3] الشريف الشافعي، نجيب محفوظ المكان الشعبي في رواية بين الواقع والإبداع، الدار المصرية اللبنانية للكتاب،ط1، 2006، ص45.

ثانيا: الفضاء المغلق:

تلعب الفضاءات المغلقة « دورا حيويا على مستوى الفهم والتفسير والقراءة النقدية»[1]، إذ تسعى إلى إبراز العلاقة القائمة بينها وبين شخصياتها الروائية من جهة وبين مظاهر الحياة الداخلية للأفراد الذين يعيشون تحت ظلالها.

والمكان المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرز الصراع الدائم والقائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدأ التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه.[2]

وفي رواية " انكسار" نجد قدرا معتبرا من الفضاءات المغلقة، حرص "محمد مفلاح" على تقديم المكان المغلق في صوره المتعددة من بيوت وغرف وفنادق...

1/ البيوت والغرف:

يشكل هذا الفضاء حضورا بارزا في رواية " انكسار"، إذ تعد البيوت والغرف من أماكن الثبات والاستقرار بالنسبة للشخصية، تنصهر بآلامها وأحزانها وأفراحها وسعادتها.

وبالحديث عن البيت يجدر بنا أولا أن نشير إلى المفردات التي يأخذها البيت كالشقة والمسكن والفيلا، وضح ذلك " شاكر النابلسي" بقوله " «عندما تطورت الحياة العربية أصبح يطلق على البيت الآن شقة، ولم يعد هناك فرق بين البيت والشقة إلا من حيث الموقع. فإن كان البيت بعدد معين من الحجرات واقعا في عمارة سمي شقة، وإن كان واقعا في أرض وحده وبنفس عدد الحجرات سمي بيتا أو فيلا »[3]، والفرق هنا يكمن في الأرضية التي تقع فيها هذه الأماكن، كأن نطلق اسم شقة في عمارة أو بناية ما.

---

[1] حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، ص 32.

[2] فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية (دراسة نقدية)، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين، ط1، 2003، ص 163.

[3] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 142، 143.

ويعد البيت المكان الأول الذي يوجد فيه الإنسان، فهو عالم الشخص الذاتي، فيه تتكشف خبايا نفسه وفيه يعبر عن مواقفه إزاء الناس والأشياء فهو مكان الألفة والحماية[1].

ولقد استطاع البيت أن يعبر عن الشخصية من خلال " الرواية" إذ نجد "محمد مفلاح" يحاول إعطاء صورة عن البيت من خلال الوصف الذي قدمه نمثل لذلك بقولـــه « **دخل شقة مسقوفة بالقرميد لها واجهة جميلة مغروسة بشجيرات الياسمين ومسك الليل، تذكر أيام الطفولة السعيدة التي قضاها في اللعب مع كمال ابن خالته**»[2]، ويكشف هذا المقطع أيضا عن الحالة النفسية التي انتابت الشخصية أثناء دخولها المنزل باسترجاع ذكريات الطفولة فالمكان يعد بمثابة « مكان الألفة ومركز تكييف الخيال وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه »[3].

فالإنسان إذن مهما ابتعد عن مسكنه، إلا أنه يبقى يختزن في ذاكرته أجمل اللحظات التي عاشها بين زوايا البيت، وفي نفس السياق يعرض الروائي لبعض الذكريات عندما « **دفع عباس الباب الخشبي للشقة، وتوجه إلى الحجرة التي كانت تحتوي على خزانة خشبية وتلفزة وضعت على منضدة، احتلت جزءا من الدار الذي علقت عليه صورة والده إلى جانب صورة الأحرار الخمسة. مازالت الحجرة تذكره بجدته حليمة بنت الخير، وحكاياتها الشيقة عن الحيوانات والسلاطين والأشباح والمغامرين** »[4] فيكون البيت ليس مجرد مكان تولد فيه ونحتمي بين جدرانه، بل إن حضورنا في هذا المكان يأخذ أبعادا كثيرة تعبر عن خلجات النفس وخفاياها.

من جهة أخرى نجد الروائي " محمد مفلاح" يركز كثيرا على تصوير البيت من الداخل، حيث رصد تحركات "عباس" أثناء تجوله في الفيلا باحثا عن زوجته نجاة « **تحرك بخطى بطيئة صوب باب الغرفة، واتجه إلى الحمام، غسل وجهه وركز نظـره**

---

[1] محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص 57.

[2] الرواية، ص 9.

[3] غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط3،1987، ص9.

[4] الرواية، ص 24.

في المرآة ثم مسح وجهه في منشفة حمراء ومشط شعره، وقصد الصالة الفسيحة. وبعد ثوان مضى إلى المطبخ ثم ارتقى السلم مهرولا إلى الطابق الأول، وبحث عن نجاة في كل غرفة ولكنه لم يعثر عليها. عاد إلى دورة المياه، وهو ينادي بصوت ساخط. وبعد دقائق من البحث، اكتشف أن زوجته غادرت الفيلا الزرقاء »[1]، يبدو من خلال هذا المقطع أن بيت عباس عبارة عن " فيلا" مشكلة من طوابق تضم مطبخ وحمام وغرف وصالة فسيحة خاصة بالضيوف.

فالغرف تمثل إحدى مظاهر الحياة الداخلية للإنسان، كونها ترتبط مباشرة بحاجة بيولوجية، نفسية، وعاطفية، وقد أتت الغرف في الرواية مرتبطة بوسائل الراحة الجسدية والنفسية، إذ ركز السارد في تقديمه لبيت عباس بإبراز ملامح المستوى الاجتماعي والاقتصادي لما يحتويه من أثاث يبعث على الاسترخاء، نمثل لذلك بقول السارد: « **شغل عباس البري مكيف الصالة الفسيحة، واستلقى على أريكة من الأرائك الجلدية البنية التي احتلت جزاء من المساحة المقابلة للباب الخشبي العريض ذي الدفتين الأنيقتين ثم ضغط على أزرار آمرة عن بعد فرأى على شاشة التلفــزة الكبيرة صورا مرعبة على الهجرة السرية إلى بلدان أوربــا** »[2].

في هذا المقطع يتبع السارد تفاصيل البيت أو بالأحرى صالة الجلوس التي بدت واسعة ذات طراز راقي « **وحين دخل غرفته أغلق بابها... ثم شغل التلـفـزة بعدما استلقى على السرير العريض** »[3]، إنّ ما يلفت انتباهنا في هذا المقطع السردي عرض صورة الشخصية وهي في غرفة النوم باعتبارها الملجأ الأول للاستلقاء والراحة، بتوفرها على مظاهر التهيئة للنوم من فراش وأغطية...

وربما تتحول الغرفة إلى مكان إزعاج وقلق إن لم تتوفر فيها شروط الراحة، يصف " محمد مفلاح" غرفة في إحدى الفنادق التي أقام بها " عباس" إثناء سفره إلى مدينة

[1] الرواية، ص 8.

[2] الرواية، ص 22.

[3] الرواية، ص 105.

الجزائر حيث « **توجه إلى الغرفة التي كانت تحتوي على سرير صغير، وخزانة خشبية وكرسي بلاستيكي، وكانت الغرفة الضيقة تفوح منها رائحة هواء فاسد، ولاحظ أيضا أن جدرانها في حاجة إلى ترميم، تنهد حانقا على السرير المتواضع الذي كان يهتـز كلما جلس على حافته أو تمدد على فراشه**»[1].

يتضح لنا أن الروائي ينقل تفاصيل الغرفة التي انعدمت فيها وسائل الراحة، وكأن الروائي حامل لآلــة تصوير فوتوغرافية، يلتقط عبر عدستها كل ما تقع عليه عيناه، وقد شعر " عباس" بالضيـق والكآبــة بدخوله للغرفة خاصة بعدما لاحظ أن السرير لا يصلح للنوم وهو في حالة إرهـاق جسدي ونفسي.

ونلحظ الدلالة التأثيرية للمكان على المرء، فقد يتحول البيت الأليف إلى مصدر إزعاج وقلق لساكنه، ومن خلال رسم المكان نتبين العلاقة بينه وبين الشخصية، فقد يتحول المسكن إلى مصدر شقاء وتعاسة هذا ما حصل لزوجة عباس « **نجاة التي كانت قد غادرت البيت مدة أيــام طويلة قضتهـا في بيت والديهـا** »[2] تاركة وراءها رسالة مكتوب فيها «... **لم أجد في البيت الزوجـي ما يجعلني أرضى بالحياة معك، أصبحت شقية في هذه الفيلا الفارغة من كل حب... وأخيرا قررت مغادرة المسكن فلا تفكر في عودتي إليـك...**»[3].

فالشخصية هنا تبدو عليها ملامح الكآبــة والحزن، ما جعلها تغادر البيت الزوجي وترفض العودة إليه، وهنا حملت لنا دلالة اللاستقرار في البيت الزوجي، انعدمت فيه المشاعر والأحاسيس، وأصبح هذا الفضاء فارغا من كل حب.

---

[1] الرواية، ص 77.

[2] الرواية، ص 30.

[3] الرواية، ص 9.

2/ الفندق:

يكتسب الفندق مكانة متميزة في الرواية إذ يشكل إحدى الفضاءات المغلقة التي يتردد عليها الفرد لقضاء الحاجة عند السفر، فمن المعروف أن الفندق مكان واسع يشتمل على غرف عديدة تكون مخصصة للإيواء مقابل أجرة، ولذا نجد الروائي "محمد مفلاح" قد ذكر الفندق في مواضع عديدة من الرواية لجأ إليه " عباس" كمكان للإقامة المؤقتة أثناء رحلته إلى مدينة الجزائر، حيث يطلعنا الكاتب عن البطل لما وصل إلى محطة الخروبة بالعاصمة « **استقل منها سيارة أجرة صفراء إلى فندق السفير الذي اعتاد الإقامة فيه كلما زار الجزائر** »[1]، لكن حال وصوله إلى الفندق وجد عباس كل الغرف محجوزة من طرف الناشرين المشاركين في الصالون الدولي للكتاب.

يظهر الفندق كمكان لاستقبال المسافرين، رصد الروائي مسيرة عباس في البحث عن فندق يستقر فيه حيث « **دخل أول فندق صادفه في طريقه، كان فندقا قديما وضع على أعلى بابـه الحديدي لافتة عريضة كتبت عليها عبارة " أهلا وسهلا ومرحبا"، فكر أن يقضي فيه ليلة واحدة ثم ينتقل إلى فندق آخر يليق بمكانتـه** »[2]، هنا قدم الكاتب وصفا للفندق الذي بدى قديم ومتواضع على حدّ تعبيره، ما جعل عباس يفكر في الانتقال إلى فندق آخر، لعدم شعوره بالراحة والاستقرار داخل الغرفة المتواضعة، ما اضطره لمغادرة الفندق.

وبتتبعنا للمكان داخل الرواية، يبرز الفندق عنصرا فاعلا في بناءها، عكس بدوره صورة الشخصية الروائية ومدى تفاعلها، نلمس ذلك من خلال الرسم الذي قدمه الكاتب لإحدى الغرف التي اختار "عباس" المكوث فيها فقد « **انتقل عباس البري إلى فندق بمحيط ساحة موريس اودان، حجز فيه غرفة واسعة تحتوي على حمام ومغسل وخزانة وثلاجة وجهاز تلفـزة وثلاثة كراس ومنضدة خشبية بنية. وأصبح يتناول وجبات العشاء**

[1] الرواية، ص 75.

[2] الرواية، ص 77.

في المطاعم المجاورة ثم يلجأ إلى الفندق »[1]، نلاحظ هنا أن الروائي لجأ إلى تصوير الغرفة التي بدت واسعة بما تحمل من أثاث وأجهزة تساعد في تلبية حاجيات المستأجر بالفندق، ما يبعث على الراحة والاستقرار وهو ما افتقدته الغرفة الأولى التي قضى فيها " عباس" ليلة واحدة حيث « **كانت تحتوي على غطاء قديم وفراش صوفي ووسادة صغيرة**»[2].

وفي مقطع آخر من الرواية يصور لنا الكاتب إحدى الفنادق المطلة على خليج الجزائر، التي تعكس مكانة " عباس البري" كرجل أعمال إذ يؤكد ذلك بقوله: « **انزوى عباس في الغرفة الواسعة التي احتجزها بفندق السفير اكترى غرفة تطل على خليج الجزائر الجميل، كان حريصا على أن تراه صاحبة الشعر الذهبي في فندق يعكس مكانته كرجل أعمال، لو كانت معه سيارته لاختار الإقامة في احد فنادق سيدي فرج أو زرالدة**»[3].

يتبين لنا أن الفنادق أنواع، منها ما يتميز بالبساطة في نوعية الخدمات وهذا النوع من الفنادق يقصده عامة الناس، وهناك نوع آخر يتميز بالطراز الهندسي الراقي من حيث التهيئة يقصده رجال الأعمال وذوي المكانة المرموقة في المجتمع تماما كما فعل " عباس" الذي فضل الإقامة بفندق السفير بالجزائر.

3/المكتبة:

ورد ذكر المكتبة بقلة في الرواية، حيث شكلت فضاء مغلقا قصده "عباس" في إحدى زياراته لصهره " بغداد بخلوني" الذي كان يقضي معظم أوقاته في المكتبة المتواضعة على حد قول السارد « **توجه بسيارته إلى المكتبة البلدية المقابلة لمقر الدائرة دخل بهو بناية دار الثقافة ثم ارتقى الدرج المؤدي إلى الطابق الأول حتى وصل المكتبة**

[1] الرواية، ص 79.

[2] الرواية، ص 77.

[3] الرواية، ص 93.

المتواضعة... لاحظ أن المكتبة لا يوجد بها إلا ثلاث فتيات يشتغلن في إطار برنامج الشبكة الاجتماعية»[1].

تعد المكتبة مؤسسة ثقافية تشتمل على خدمات متنوعة، إذ تلعب دورا أساسيا في إثراء الجانب الفكري للفرد، لما تقدمه من معلومات تساهم في توسيع أفق الفهم والقراءة ولقد وجد " بغداد بخلوني" في المكتبة فضاء ثقافي يغترف منه العلم والمعرفة حيث اتخذها وسيلة، إذ كان له رأي في ذلك من خلال حديثه مع عباس يقول: « **طالع الكتب حتى تتحرر، أنا اعترف بأن مطالعة الكتب أسهمت في اتساع أفقي وأبعدتني عن حياة الناس التافهة**»[2]، إذن للمكتبة أثر إيجابي في تطوير ونمو الوعي الثقافي والفكري لدى المجتمع.

والملاحظ أن المكتبة تتميز عموما بالهدوء كونها مخصصة للمطالعة كما ورد في الرواية، هذا ما شعر به عباس أثناء دخوله للمكتبة بقوله: « **إنها مكتبة هادئة** »[3] حيث تكون المكتبة متاحة لفئة معينة من المجتمع فهي تشكل أحد الدعائم الأساسية في بنائه من خلال الإمداد بالمعلومات وإثراء الرصيد الفكري للفرد.

وبطبيعة الحال تأخذ المكتبة أشكالا عدة فهناك المكتبات الالكترونية التي أصبحت مقصد الكثيرين، كما جاء في حديث عباس « **اعتقد أن الكتاب لم يعد خير جليس في عهد الفضائيات والانترنت** »[4].

مما سبق يمكن القول أن الفضاء المفتوح والمغلق يستند أساسا إلى الشخصية ومدى تفاعلها في المكان، فقد يكون المكان المفتوح لشخصية ما فضاء مغلقا بالنسبة لشخصية أخرى وسواء كانت الأماكن مغلقة أم مفتوحة فهي تؤثر في الشخصيات و يؤثرون فيها ثم إن الفضاءات التي تم ذكرها في هذه الدراسة تمثل الأكثر تواترا في الرواية، سيما الفضاءات المفتوحة.

---

[1] الرواية، ص 18.

[2] الرواية، ص 21.

[3] الرواية، ص 18.

[4] الرواية، ص18.

خاتمـــــة

نخلص في هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نوجزها كما يلي:

- استطاعت الرواية الجزائرية أن تطرق عالم المدينة بمختلف ملامحه و صوره، إذ كان حضور المدينة في النصوص الروائية يعكس جانبا من التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري خاصة في فترة ما بعد الاستقلال.
- يعد المكان من أهم العناصر الأ ساسية المكونة في البناء الروائي، فهو لا يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث فحسب، بل الإطار الذي يحتويها، لذلك كان الاهتمام به لافتا للنظر من خلال توظيف الكاتب الجزائري لموضوع المدينة كمعطى أدبي معاصر في الرواية، إذ نجده مرتبط بالمكان الذي طبع في نفسيته لمسة جمالية كشفت عن إحساسه العميق تجاه المكان.
- لم يقتصر الروائي الجزائري على إبراز قيمة المدينة والوقوف عند أهميتها في حياته وحياة مجتمعه، فكانت موضوعا خصبا للتأمل والتفكير اتجاه الحياة، يجسد من خلالها الروائي رؤيته الخاصة للمكان، وصارت بذلك وعيا فكريا ونفسيا تتفاعل مع الذات والجماعة.
- نجد الروائي محمد مفلاح قد أدخل للرواية الجزائرية سمة جديدة متمثلة في المدينة ما يعكس اهتمام الكاتب بالمكان، فقد رصد من خلالها مستجدات الحركة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للفرد، وكان توظيف الروائي للمدينة بشكل فني متميز دّل على اتساع ثقافة الأديب وعمق فكره.
- لا تكاد تخلو صفحة واحدة من الرواية المختارة من ذكر المدينة، حيث وردت ذكر المدن وشوارعها وساحاتها وأحيائها بأسمائها، وهو ما يميز الرواية المعاصرة التي توهم القارئ بواقعيتها، وتمكنه من تصور المدينة في إطار فني شكله الكاتب بإبداعه الخاص.

- تنوعت الفضاءات في الرواية بين المفتوح والمغلق، وقد جاءت الفضاءات المفتوحة أكثر تواترا، جعل منها الكاتب أرضية خصبة تتحرك خلالها الشخصيات وتقع فيها الأحداث، بيد أن الفضاءات المغلقة كانت أقلّ حضورا في النص، مما يفسر الحالة النفسية للشخصية الروائية التي تميل أكثر إلى الانفتاح، فكانت هذه الفضاءات مشحونة بالقلق والتوتر، وأحيانا بالضيق والاتساع.
- إن انتقال الشخصية عبر هذه الفضاءات يؤدي بالضرورة إلى تعدد الأماكن وتنوعها، سواء أكان الفضاء مفتوحا أم مغلقا ، فهو يستند أساسا إلى الشخصية ومدى تفاعلها داخل المكان.
- عمد الروائي محمد مفلاح إلى تقديم وصف لبعض الفضاءات اكتسبت بفضله بعدا دلاليا وجماليا، وابتعدت عن طابعها الهندسي الملموس والجامد، حيث أسهم الكاتب في تصوير بعض ملامح المدينة، فانعكست طبيعتها ودلالتها على الشخصيات.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث المتواضع، وأعطيناه القدر المستحق من الدراسة.

ملحـــــق

التعريف بالروائي" محمد مفلاح "

حياتـــــه:

روائي وقاص وباحث، من مواليد 28 ديسمبر 1953 بولاية غليزان الجزائر، أنجز العديد من الأعمال الإبداعية والأبحاث المتعلقة بتاريخ و تراث منطقة غليزان، وهو اليوم بعد تقاعده متفرغ للكتابة الإبداعية والبحث في تاريخ منطقة غليزان وتراثها الثقافي[1].

_ نشر مقالاته الأولى بالملحق الثقافي لجريدة الشعب الذي كان يشرف عليه الطاهر وطار (1973-1976)، كما نشر قصصه الأولى في بداية السبعينات من القرن الماضي بالجرائد والمجلات الوطنية ومنها (الوحدة، آمال، الجزائرية) وطبعها سنة 1983 تحت عنوان " السائق".

_ مارس العمل النقابي منذ 1972، إذ انتخب أمينا عاما للإتحاد الولائي لغليزان، ثم انتخب عضوا بالأمانة الوطنية للإتحاد العام للعمال الجزائريين (1990_1994) برلماني سابق خلال عهدتين: (عهدة 1997_2002) و(عهدة 2002_2007). وتولى عدة مسؤوليات بالمجلس الشعبي الوطني منها مقرر ثم نائب رئيس المجموعة البرلمانية لحزب جبهة التحرير الوطني .

_ كما انتخب عضوا بالأمانة الوطنية لإتحاد الكتاب الجزائريين (1998_2001)، وأعيد انتخابه بالمجلس الوطني للإتحاد عام 2001 .

مؤلفاتـــــه:

أ/ في الرواية: الانفجار (أول رواية له) / بيت الحمرا / زمن العشق و الأخطار / هموم الزمن الفلاقي / خيرة و الجبال / الانهيار / الكافية و الوشام / الوساوس الغريبة / عائلة من فخار / شعلة المايدة / انكسار.

ب/ في القصة: _ مجموعة (السائق).

_ مجموعة (أسرار المدينة).

[1] محمد مفلاح، هوامش الرحلة الأخيرة، منشورات دار الكتاب، دط، ص107.

_ الكراسي الشرسة (قصص).

كما صدرت له أعمال أخرى في قصص الأطفال نذكر:

_ معطف القط مينوش.

_ مغامرات النملة كليحة.

_ وصية الشيخ مسعود.

وكتب في التاريخ والتراجم منها: شهادة نقابي / أعلام من منطقة غليزان / شعراء الملحون بمنطقة غليزان [1].

- **رأي عز الدين جيلاوجي فيه:**

أول ما يميز هذا القلم هو إخلاصه للإبداع و إصراره على مواصلة الدرب بثبات و عمق، رغم الظروف الصعبة التي عصفت بواقع الكتاب و الأدباء عقودا من الزمن جعلت العشرات منهم يتساقطون في أول الطريق و في منتصفه...

أمّا ثاني ما يميزه هو هذا التنوع الجميل الذي طبع تجربته الإبداعية فهو وإن انتصر للرواية كثيرا إلا أنه كتب قصصا ومازال و كتب المسرح والتمثيلية الإذاعية، وله إسهام جميل في قصص الأطفال...

وظل محمد مفلاح لا يزداد إلا عشقا للكتابة، رغم وظائفه السياسية والنقابية والاجتماعية الكثيرة المعقدة، كأن الكتابة هواءه الذي يتنفسه وماءه الذي يشربه ودمه الذي يسري في عروقه، وهو لا يحدثك حين تلقاه إلا عن الكتابة والإبداع... [2].

[1] Meflah mohammed.blogspot.com 10 :36, 19/04/2015

[2] ouadie.ahlamontada.com/L9783.topic, 11 :08, 19/04/2015.

ملخص رواية " انكسار"

تحكي الرواية عن مأساة "عباس البري" (البطل)، مجسدة بذلك تفاصيل حياته اليومية المفتوحة على عالم المدينة، وفي علاقاته بمن حوله من الناس إذ تأخذنا الرواية عبر محطات " انكسار" مر بها البطل، جعلته يشعر بالفشل والأسى، لكن بالرغم من ذلك هناك دائما أمل يبعث على الحياة من جديد.

تبدأ أحداث هذه الرواية بعد قضاء "عباس" ليلة كاملة في حفل زفاف صديقه (جيلالي العيار)، وعاد إلى مسكنه ثملا في وقت متأخر من الليل، وفي صبيحة اليوم الموالي استيقظ "عباس" ولم يجد زوجته (نجاة) في البيت كعادتها، وبعد لحظات من البحث اكتشف أن "نجاة" غادرت الفيلا تاركة له رسالة تخبره بعدم رغبتها في العيش معه.

اصطدم عباس بمفاجئة هروب زوجته من البيت، فأخذ يسأل عنها في الأماكن التي تتردد عليها، خشية أن يشيع الخبر بين الناس والفضيحة التي ستحل عليه، خاصة وان "عباس" صاحب مركز تجاري معروف، ومن عائلو " البري" العريقة، وفي هذه الأثناء اتصل عباس بزميلة "نجاة" في العمل، لكنها أخبرته بان زوجته آخذت إجازة مدة شهر ازداد عباس توترا، وأسرع للاتصال بحماته (نورية)، التي تجاهلت الموضوع ورأت فيه أمر خاصا لا يهمها، بعد ذلك قصد "عباس" حميه (بغداد بخلوني) في مكتبته المتواضعة لكن دون جدوى، فقد أبدى له (بخلوني) عدم الاهتمام وظل منشغلا بقراءة الكتب.

انشغل عباس في البحث عن سبب مقنع لمغادرة زوجته الفيلا دون علمه، وكان كلما أحس بالضيق والحزن أشعل سيجارته التي وجد فيها الرفيق المهدئ لأعصابه المتوترة، رغم أن الطبيب (منور العشوب) المتخصص في أمراض الأعصاب، كان ينصحه دوما بالابتعاد عن التدخين، وتوطيد علاقاته مع الآخرين.

ظلت الشكوك تراود "عباس" أينما ذهب حول اختفاء زوجته، خاصة بعد تلقيه مكالمة هاتفية من فتاة مجهولة الهوية، تخبره أن زوجته (نجاة) تخونه مع رجل آخر، ما زاده ذلك توترا وقلقا.

ولم يكن هروب نجاة مجرد الانكسار الوحيد الذي يواجه "عباس"، في حياته، إنمّا ازداد توترا وضيقا، عندما استقبل رسالة من طرف البنك يطالبه بتسديد الديون وتسوية

وضعية مركزه التجاري، إذ كان "عباس" صاحب مركز تجاري لبيع الألبسة المستوردة اختار له اسم " الزنبقة وهي عبارة عن زهرة ناصعة البياض ترمز إلى الطهارة.

خشي عباس من فقدان مركزه التجاري، فانتقل إلى العاصمة على أمل إيجاد حل لمشكلة الديون المتراكمة، وحين وصول " عباس" إلى مدينة الجزائر حجز غرفة بإحدى الفنادق، وكان كلما ضاق به الحال يخرج للتجول في شوارع المدينة وأزقتها.

ولما كان "عباس" يحتسي الشاي بإحدى مقاهي العاصمة، اقتربت منه فتاه حسناء تدعى "جويدة"، طلبت منه قلما للكتابة، وقد انبهر "عباس" بجمالها الفاتن، حيث دعاها لشرب فنجان قهوة، أو عصير برتقال، فكان ذلك سببا للتعارف بينهما وتبادل أطراف الحديث، وهذا اللقاء بث في نفس "عباس" طاقة جديدة، فنسى هموم المركز وزوجته الفارة من البيت.

لكن سعادة "عباس" لم تدم طويلا بعدما اكتشف حقيقة الفتات خلال تلقيه مكالمة هاتفية من طرف شخص مجهول الهوية يهدده بالابتعاد عن "جويدة"، فسرعان ما تبخر الحلم الجميل الذي بناه عباس مع الفتات الحسناء التي اخفت عنه أسرار ماضيها، وكاد " عباس" أن يقع في شباكها، فطلب منها تفسيرا لما حدث ومن يكون صاحب المكالمة لكن جويدة تكتمت للأمر غادرت مكان لقائها. تاركة ورائها حيرة كبيرة في نفسية " عباس" الذي تيقن بان الفشل والأسى يلاحقه حتى في العاصمة.

وبعد أيام تلقى "عباس" مكالمة هاتفية من طرف خالته "زينب" التي أخبرته بان زوجته نجاة تنتظر مولودا فكان الخبر الذي بعث أملا "جديدا" في حياة عباس وأخيرا أدرك أن الوحم هو السبب الذي جعل زوجته تغادر البيت.

وحين سماع الخبر، استقل "عباس" سيارة أجرة إلى المحطة للعودة إلى مدينته وفي هذه الأثناء تلقى عباس مكالمة من احد معرفه يخبره عن نبا وفاة خالته "زينب" بسكتة قلبية، المرأة الوحيدة التي كانت تسانده على مواجهة الحياة وعدم اليأس.

وكان الخبر حرك مشاعر عباس وأثار مواجعه بالبكاء أمام الناس، وقد كانت المرة الأولى التي يبكي فيها عباس أمام الجميع.

ملخص رواية " انكسار"

تحكي الرواية عن مأساة "عباس البري" (البطل)، مجسدة بذلك تفاصيل حياته اليومية المفتوحة على عالم المدينة، وفي علاقاته بمن حوله من الناس إذ تأخذنا الرواية عبر محطات " انكسار" مر بها البطل، جعلته يشعر بالفشل والأسى، لكن بالرغم من ذلك هناك دائما أمل يبعث على الحياة من جديد.

تبدأ أحداث هذه الرواية بعد قضاء "عباس" ليلة كاملة في حفل زفاف صديقه (جيلالي العيار)، وعاد إلى مسكنه ثملا في وقت متأخر من الليل، وفي صبيحة اليوم الموالي استيقض "عباس" ولم يجد زوجته (نجاة) في البيت كعادتها، وبعد لحظات من البحث اكتشف أن "نجاة" غادرت الفيلا تاركة له رسالة تخبره بعدم رغبتها في العيش معه.

اصطدم عباس بمفاجئة هروب زوجته من البيت، فأخذ يسأل عنها في الأماكن التي تتردد عليها، خشية أن يشيع الخبر بين الناس والفضيحة التي ستحل عليه، خاصة وان "عباس" صاحب مركز تجاري معروف، ومن عائلو " البري" العريقة، وفي هذه الأثناء اتصل عباس بزميلة "نجاة" في العمل، لكنها أخبرته بان زوجته آخذت إجازة مدة شهر، ازداد عباس توترا، وأسرع للاتصال بحماته (نورية)، التي تجاهلت الموضوع ورأت فيه أمر خاصا لا يهمها، بعد ذلك قصد "عباس" حميه (بغداد بخلوني) في مكتبته المتواضعة، لكن دون جدوى، فقد أبدى له (بخلوني) عدم الاهتمام وظل منشغلا بقراءة الكتب.

انشغل عباس في البحث عن سبب مقنع لمغادرة زوجته الفيلا دون علمه، وكان كلما أحس بالضيق والحزن أشعل سيجارته التي وجد فيها الرفيق المهدئ لأعصابه المتوترة، رغم أن الطبيب (منور العشوب) المتخصص في أمراض الأعصاب، كان ينصحه دوما بالابتعاد عن التدخين، وتوطيد علاقاته مع الآخرين.

ظلت الشكوك تراود "عباس" أينما ذهب حول اختفاء زوجته، خاصة بعد تلقيه مكالمة هاتفية من فتاة مجهولة الهوية، تخبره أن زوجته (نجاة) تخونه مع رجل آخر، ما زاده ذلك توترا وقلقا.

ولم يكن هروب نجاة مجرد الانكسار الوحيد الذي يواجه "عباس"، في حياته، إنمّا ازداد توترا وضيقا، عندما استقبل رسالة من طرف البنك يطالبه بتسديد الديون وتسوية وضعية مركزه التجاري، إذ كان "عباس" صاحب مركز تجاري لبيع الألبسة المستوردة، اختار له اسم " الزنبقة وهي عبارة عن زهرة ناصعة البياض ترمز إلى الطهارة.

خشي عباس من فقدان مركزه التجاري، فانتقل إلى العاصمة على أمل إيجاد حل لمشكلة الديون المتراكمة، وحين وصول " عباس" إلى مدينة الجزائر حجز غرفة بإحدى الفنادق، وكان كلما ضاق به الحال يخرج للتجول في شوارع المدينة وأزقتها.

ولما كان "عباس" يحتسي الشاي بإحدى مقاهي العاصمة، اقتربت منه فتاه حسناء تدعى "جويدة"، طلبت منه قلما للكتابة، وقد انبهر "عباس" بجمالها الفاتن، حيث دعاها لشرب فنجان قهوة، أو عصير برتقال، فكان ذلك سببا للتعارف بينهما وتبادل أطراف الحديث، وهذا اللقاء بث في نفس "عباس" طاقة جديدة، فنسى هموم المركز وزوجته الفارة من البيت.

لكن سعادة "عباس" لم تدم طويلا بعدما اكتشف حقيقة الفتات خلال تلقيه مكالمة هاتفية من طرف شخص مجهول الهوية يهدده بالابتعاد عن "جويدة"، فسرعان ما تبخر الحلم الجميل الذي بناه عباس مع الفتات الحسناء التي اخفت عنه أسرار ماضيها، وكاد " عباس" أن يقع في شباكها، فطلب منها تفسيرا لما حدث ومن يكون صاحب المكالمة، لكن جويدة تكتمت للأمر غادرت مكان لقائها. تاركة ورائها حيرة كبيرة في نفسية " عباس"، الذي تيقن بان الفشل والأسى يلاحقه حتى في العاصمة.

وبعد أيام تلقى "عباس" مكالمة هاتفية من طرف خالته "زينب" التي أخبرته بان زوجته نجاة تنتظر مولودا فكان الخبر الذي بعث أملا "جديدا" في حياة عباس وأخيرا أدرك أن الوحم هو السبب الذي جعل زوجته تغادر البيت.

وحين سماع الخبر، استقل "عباس" سيارة أجرة إلى المحطة للعودة إلى مدينته، وفي هذه الأثناء تلقى عباس مكالمة من احد معرفه يخبره عن نبا وفاة خالته "زينب" بسكتة قلبية، المرأة الوحيدة التي كانت تسانده على مواجهة الحياة وعدم اليأس.

وكان الخبر حرك مشاعر عباس وأثار مواجعه بالبكاء أمام الناس، وقد كانت المرة الأولى التي يبكي فيها عباس أمام الجميع.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم ب "رواية ورش".

1. إبراهيم رماني، أسئلة الكتابة النقدية(قراءة في الأدب الجزائري الحديث)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، دط، دت.
2. إبراهيم رماني، المدينة زفي الشعر العربي الجزائر أنموذجا، (1925-1962)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، ط2، 2001م.
3. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2001م.
4. أحمد سيّد محمد، الرواية الإنسيابية و تأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989م.
5. الأخضر بن السايح، سطوة المكان وشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد (دراسة في تقنيات السرد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد، الأردن، ط1، 2011م.
6. باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م.
7. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، دط، 1987م.
8. بهيجة مصري أدلبي/عامر الديك، السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.
9. بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، المغرب، ط1، 1999م.
10. جان ايف تاديه، الرواية في القرن العشرين، تر، محمد خير الدين البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
11. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م.

12. حسن حمودة، الرواية والمدينة (نماذج من كتّاب الستينات في مصر)، الهيئة العامة لقصور الثقافية، شركة الأمل للطباعة والنشر ، دط، 2000م.
13. حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م.
14. عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.
15. حميد لحميداني، بنية النص السردي من المنظور الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1993م.
16. رابطة أهل القلم، أسئلة الحداثة في الرواية الجزائرية، منشورات مديرية الثقافة، سطيف، الجزائر، دط، دت.
17. رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، دط، 1984م.
18. رضوان عبد الله، البنى السردية " 2"- نقد الرواية-، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003م.
19. رضوان عبد الله، البنى الشعرية(دراسات تطبيقية في الشعر العربي)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، د ت.
20. ركيبي عبد الله، تط ور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع، ط2، د ت.
21. سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط7، 1981م.
22. سعيد سلام، التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، دط، 2010م.

23. سليم بتقة، ترييف السرد الروائي الجزائري، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م.
24. سناء طاهر الجمالي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م
25. سيد حامد النساج، أدب التحدي السياسي في المغرب العربي، دار الرأي، بيروت، لبنان، دط، دت.
26. سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984م.
27. شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1994م.
28. شرف الدين ماجدولين، الصورة السردية في الرواية والقصة والسنما، الدار العربية للعلوم ناشرون، العاصمة، الجزائر، ط1، 2010م.
29. الشريف الشافعي، نجيب محفوظ المكان الشعبي في رواياته بين الواقع والإبداع، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2006م.
30. الشريف حبيلة، الرواية والعنف (دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2010م.
31. صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
32. صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، دار الهدى، عين امليلة، الجزائر، ط 1، 2008م.
33. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية –دراسة–، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ط1، 2003م.

34. صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2010م.
35. عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمود علي للنشر، تونس، ط1، 2003م.
36. عايدة أديب بامية، تطور الأدب الجزائري (1925-1967)، ديوان المطبوعات الجامعية، العاصمة، الجزائر، د ط، د ت.
37. علي فؤاد أحمد، مشكلات المجتمع الريفي في المجتمع العربي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
38. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا وأنواعا وقضايا.. وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، د ت.
39. غاستون باشلار، جماليات المكان، تر ، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
40. فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية "دراسة نقدية"، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين، ط1، 2003م.
41. فهد حسين، أمام القنديل حوارات في الكتابة الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
42. قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي)، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2001م.
43. عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2013م.
44. عبد القادر قيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009م.

45. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م.
46. ماجدة حمود، صورة الأخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
47. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، ط1998م.
48. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مج1، 2004م.
49. محبوبة محمدي محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011م.
50. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)، د ار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
51. محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، د ت.
52. محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983م.
53. محمد مفلاح، رواية انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010م.
54. محمد مفلاح، هوامش الرحلة الأخيرة، منشورات دار الكتاب، د ط، 2012م.
55. مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1995م.
56. مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط 1، 2000م.
57. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 13، ط1، 1990م.

58. عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط7، 1981م.
59. نبيل سليمان، أسرار التخييل الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، د ط، 2005م.
60. نوزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
61. ياسين النصير، الرواية والمكان(دراسة المكان الروائي)، دار نينوى، للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط2، 2010م.

الرسائل الجامعية:

1. سليم بتقة، الريف في الرواية الجزائرية " دراسة تحليلية مقارنة"، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري ، إشراف الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر ، باتنة، 2010/2009م.
2. قرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، إشراف عبدالقادر هني، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1995/1994م.

الدوريـــات:

1. مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، مج 28، ع1، 2012.

المواقع الالكترونية:

1. ouadie.ahlamontada.com/L9783.Lopic
2. Meflah Mohammed. b logspot.com

فهـــرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	أ-ب-ج
مدخل: نبذة عن تطور الرواية الجزائرية	5-13
الفصل الأول :المدينة مفاهيم وتجليات	16-39
أولا : تعريف المدينة	15
أ -لغة	15
ب-اصطلاحا	16
ثانيا: المدينة والآخر	21
أ-المدينة و الكائن (الإنسان)	21
ب-المدينة والريف	26
ثالثا: المدينة بين الرواية الغربية والعربية	32
أ-المدينة في الرواية الغربية	32
ب-المدينة في الرواية العربية	36
الفصل الثاني :المدينة الفضاء والدلالة	41-60
أولا : الفضاء المفتوح	42
1. الأحياء والشوارع	42
2. الساحات	45
3. المدينة	47
4. الريف	50
5. المقهى	51
ثانيا: الفضاء المغلق	54
1.البيوت والغرف	54
2.الفندق	58
3.المكتبة	59

خاتمـــــــة	62
ملحق	65
قائمة المصادر والمراجع	70
فهرس الموضوعات	77

ملخص:

يتناول موضوع البحث "صورة المدينة في رواية انكسار لمحمد مفلاح"، إذ تحاول هذه الدراسة الوقوف عند نظرة الروائي الجزائري للمدينة باعتبارها وجها حضاريا يعكس صورة الإنسان المعاصر، فقد عمد الكاتب إلى إبراز قيمة المدينة من خلال تصويره لها، ليس في طابعها الهندسي الملموس فحسب، إنّما اكتسبت المدينة داخل النصوص الروائية بعدا جماليا وفنيا ذلك أن المكان من أهم العناصر الفنية المكونة للرواية.

ووقفنا عند مصطلح المدينة كون الحديث عنها هو حديث عن المكان في حدّ ذاتة باعتباره مسرحا للأحداث في كل رواية، ما جعل الروائي الجزائري يتعامل مع موضوع المدينة حسب وجهة نظره الخاصة، ونجد محمد مفلاح قد جسد رؤيته للمدينة مابين القبول والرفض عبر الفضاءات المفتوحة والمغلقة، والتي ارتبطت بها الشخصيات بعلاقات وثيقة تستند أساسا إلى التأثير المتبادل بين الإنسان والمكان.

Abstract :

The topic of our modest research deals with the image of town in ‘’ El Inkissar ‘’ novel, which is written by Mohamed Mefleh.

This study tries to show the algerian narrator’s point of vien towards the ‘’town’’ (by considering it a civilized face), via it’s image, not it’s concrete architectural perception but it’s aesthetic one, that we can’t reduce it’s importance, especially that the place constitutes one of the elements of the novel.

The talk about the term ‘’ town’’ means mentioning the ‘’place’’ itsey, because it is the stage of events that are taken place in the novel¸ Also, since the modern man is a civilized person that pushes the narrators to speak about the subject of ‘’ town ‘’. Each one has / his / her opinion about ‘’ town ‘’ , between acceptance and rejection via the opened and closed spaces, and which have linked between characters , by sincere relations, basically refer to the influence among the exchanged in fluence among man and place.

إن المتتبع للرواية العربية والجزائرية على وجه الخصوص يلحظ أنها اتخذت من المدينة موضوعا خصبا لا يستهان به، كونها تمثل الإطار الذي تتحرك فيه أحداث الرواية ومجالا لالتقاء الشخوص في تفاعلها ورصد سلوكاتها وحركاتها، ولذلك فأن الحديث عن المدينة في الرواية مشروع بوصفها عنصرا فنيا يجسد المكان داخل البناء الروائي، يمثل الأخير مظهرا من مظاهر الوعي الثقافي والاجتماعي الأكثر استيعابا لقضايا الواقع ومشكلات الإنسان.

ونظرا للأهمية البارزة التي تكتسيها المدينة داخل النصوص الروائية باعتبارها وجها حضاريا يعكس صورة الإنسان المعاصر والتي يمكن التعرف من خلالها على معالم التطور الفني للرواية، كانت دافعا لطرق هذا الموضوع في الرواية الجزائرية للبحث في خصوصياتها والتعريف بها لا سيما أن الأعمال التي تناولت المدينة قليلة، ما جعلنا نتناول هذا الموضوع بالدراسة لمحاولة الوصول إلى تفسير طبيعة العلاقة التي تربط الكاتب الجزائري بالمدينة من خلال المواقف التي تنشأ بين الذات الإنسانية وبين المكان الذي ترتاده.

من أجل ذلك اخترت رواية " انكسار" لـ: "محمد مفلاح" الذي يعد من بين الروائيين الذين اهتموا بموضوع المدينة كظاهرة فنية داخل المتن الروائي فكان بحثنا موسوما بـ: « صورة المدينة في رواية انكسار لمحمد مفلاح » إذ تهدف هذه الدراسة للوقوف عند وجهة نظر الكاتب من خلال بنية روائية تجسد المدينة في ملامحها المتنوعة الأمر الذي جعله في نظري موضوعا جديرا بالدراسة وعلى هذا الأساس جاء البحث محاولة للإجابة على

التساؤلات التالية: كيف تناول محمد مفلاح المدينة كمعطى أدبي معاصر؟ ماطبيعة العلاقات التي تتخذها في سياق الرواية ؟ كيف صور الكاتب المدينة ؟ وهل كان لها حضور في هذا المتن الروائي ؟.

وقد عالجت الموضوع وفق خطة جاءت مؤطرة في مقدمة و مدخل رسم بنبذة عن تطور الرواية الجزائرية ،فقد استعرضت فيه المراحل التي مرت بها الرواية منذ الستينيات إلى غاية التسعينيات من القرن العشرين، بالإضافة إلى فصلين:

أما الفصل الأول فقد وسمته بـ .« المدينة: مفاهيم و تجليات ». تناولت فيه تعريفا للمدينة كما تطرقت للعلاقات التي تتخذها المدينة ، و بالتحديد العلاقة التي يمكن أن تقوم بين الإنسان و المدينة و بين المدينة و الريف، ضف إلى ذلك فقد استعرضت المدينة بين الرواية العربية و الغربية فيما تتمتع به من أهمية داخل البناء الروائي.

أما الفصل الثاني من هذا البحث فقد خصصته لإظهار الفضاءات المفتوحة و المغلقة داخل الرواية المدروسة ، و الانفتاح و الانغلاق يأخذان أبعاد فيزيائية و نفسية و جمالية تجسد رؤية الكاتب للمكان ففي الفضاءات المفتوحة تعرضت إلى الأحياء و الشوارع و الساحات و المدن أما في الفضاءات المغلقة فقد تطرقت إلى البيوت و الغرف و الفنادق.

و ختمت بحثي هذا بمجموعة من النتائج توصلت إليها الدراسة فقد اعتمد البحث على نظرية التلقي القائمة على القراءة مستعينة بآليتي الوصف و التحليل و ذلك بالاستناد إلى

مجموعة من المراجع نذكر أهمها : كتاب بنية الشكل الروائي لـ " حسن بحراوي"، وكذلك كتاب بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لـ " حميد لحميداني" كتاب جماليات المكان في الرواية العربية لـ " شاكر النابلسي"، أيضا كتاب الرواية والمدينة (نماذج من كتّاب الستينات في مصر) لـ " حسن حمودة "، إضافة إلى كتاب دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر لـ " قادة عقاق".

و في نهاية هذا البحث يمكن أن نقف على جملة من النتائج كانت بمثابة مجموعة من الأفكار التي أثارت انتباهي خلال هذه الدراسة بحيث يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

- استطاعت الرواية الجزائرية أن تطرق عالم المدينة بمختلف ملامحه و صوره، إذ كان حضور المدينة في النصوص الروائية يعكس جانبا من التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري خاصة في فترة ما بعد الاستقلال.
- المكان من أهم العناصر الفنية المشكلة في البناء الروائي، والأحداث لا تقع دونه، كان الاهتمام به لافت للنظر من خلال توظيف الكاتب الجزائري لموضوع المدينة كمعطى أدبي معاصر في الرواية، إذ نجده مرتبط بالمكان الذي طبع في نفسيته لمسة جمالية كشفت عن إحساسه تجاه المكان.
- نجد الروائي محمد مفلاح قد أدخل إلى الرواية الجزائرية شكل جديد متمثل في المدينة ما يؤكد اهتمام الكاتب بالمكان، فقد شكلت المدينة موضوع خصب داخل الرواية رصد الكاتب من خلالها مستجدات الحركة الاجتماعية للفرد، وكان

توظيف الروائي للمدينة بشكل فني متميز ما دل على اتساع ثقافة الأديب وعمق فكره.

- لا تكاد تخلو صفحة واحدة من الرواية المختارة إلا وذكرت المدينة، حيث ورد ذكر المدن وشوارعها وساحاتها وأحيائها بأسمائها، وهو ما يميز الرواية المعاصرة إلى توهم القارئ بواقعيتها، وتمكنه من تصور المدينة في إطار فني شكله الكاتب بإبداعه الخاص.
- تنوعت الفضاءات في الرواية بين المفتوح والمغلق، وقد شكلت الفضاءات المفتوحة أكثر تواترا،جعل منها الكاتب أرضية خصبة تتحرك خلالها الشخصيات وتقع فيها الأحداث، فكانت هذه الفضاءات مشحونة بالقلق والتوتر، وأحيانا بالضيق والاتساع ما يفسر الحالة النفسية للشخصية الروائية.
- وانتقال الشخصية عبر هذه الفضاءات يؤدي بالضرورة تعدد الأماكن وتنوعها، وسواء كان الفضاء مفتوحا أم مغلقا فهو يستند أساسا إلى الشخصية ومدى تفاعلها داخل المكان.
- عمد الروائي محمد مفلاح إلى تقديم وصف لبعض الفضاءات اكتسبت بفضله بعدا دلاليا وجماليا، وابتعدت عن طابعها الملموس والجامد.